

المقدمة

موسى بن عبدالله الفرعي

لم تكتف خطوط القوافل بحمل أثقال السلع بين الأصقاع المتناثية، بل تعدته إلى نقل الكثير من سمات الثقافة، وتجارب الشعوب، وكان من يسيطر على منافذها ومسالكتها في العالم القديم، يسيطر بالنتيجة على إقتصادات الدنيا، بل على إنسيابية خطوط التواصل بين المنتج الحضاري للأمم. ورغم أن خطوط القوافل عرفت بسلعتها الرائجة، كما البخور (بين الشام واليمن) والحرير (بين الصين والشرق الأوسط)، والملح (بين شمال أفريقيا وأواسطها، والفرو (بين القسطنطينية وجنوب أوروبا مع شمالها) البارد المنعزل. إن حوادث التأريخ تصرح عن إن كل من يسيطر على خط أو أكثر منها، فإنه يشري ويتطور ويرسخ، وهذا ما حدث للرومان الذين كانوا حضارة تجارية أكثر منها ثقافية، بيد أن الحضارة الإسلامية تسنى لها السيطرة على جل تلك الخطوط وتسييرها، فكسبت الثراء الذي وظف في الإرتقاء الحضاري، الذي يجعلها تصنف من الحضارات المثقفة، وربما يكون هذا سببا كافيا في ترك ندب على غرة التأريخ، أخترق أوارها تراكمات الأزمنة، ولم نستطع التخلص من ربقته حتى اليوم، حينما تسنى له أن يؤجج عدا لا مبرر له بين شرق مفعم بالروح وغرب مترع بالمادة، بين شاطئين يمكن أن يكون التكامل سياق طبيعي في العلاقة بينهما.

لقد اتخذنا من موروث (القوافل) مجازا ورمزا، ركيزة لمشروعنا الثقافي الساعي بإخلاص من أجل إيصال رسائل عدة إلى عقر ديار الغرب، وتقديم ثقافتنا من نبع اصولها المنقول بأمانة، وعرضه بأسلوب متماه مع خصوصيتهم العقلية، من خلال لغة تواصلية حضارية يمكنها أن تشطب الكثير من الملتبس والمشوه المقرون بنا في مخيالهم الثقافي، وذلك سيرا على مبدأ (عدوك من تجهله)، وإيماننا منا بأن الثقافات الإنسانية تحتزن في سرها طاقة هائلة للتواصل والقبول بالآخر لابد من حثها لإظهارها

وتطويرها، حينما شكلت بإعتداد مجموعة القيم والمعتقدات والاتجاهات والعواطف التي تخلق معنى لمفردات ورموز للعملية الاجتماعية والحضارية.

ومن هنا فإن الثقافة تعد من الروافد الأساسية للتواصل والتعارف بين بني البشر. من خلال إغناء الخبرات والتجارب الإنسانية. ويتداعى هذا التواصل إلى إكمال الصورة في ذهن الآخر، فعادة ما يكون الوطن الثقافي ضفة معرفية بعينها، حيث يقودنا مخيالنا المبهم إلى الضفة الأخرى، دون طرقا واقعيًا، نتلمس من خلاله الحقيقة التي شوهتها تراكمات النزاعات ونزعات الضغائن وحروب الفر والكر والإحتواء والإستعمار، وأجبتها التشويهاات المتشعبة التي أملتتها أزمنة الدعة والنقل المحرف المتحامل المتعمد عن صورة الآخر. وقد تلمسنا في إغترابنا المؤقت بأن تلك الإنتقالة إلى الضفة الثقافية الأخرى تجعلنا نكتشف بأنه فضاء مألوف وإنساني محض. وكل ذلك التماس والمحكات التي تخللتها سفرياتنا في قوافلنا الثقافية إلى فتح الآفاق لمشروع مقارنة ومقاربة بين صفتين ثقافيتين، الغرض منها إكمال الصورة عند "الأنا والآخر"، التي تشكل جوهر الهوية والذاتية الثقافية، وتتداعى إلى صورة لاحقة مصححة وناسخة للناقصة أو المشوهة في الإنطباع المعرفي السابق. لهذا وغيره تكون تجربة السفر إلى عقر بؤر تلك الثقافات فرصة لنزع فتيل العدوانية، ناهيك عن سمات الإطلاع والإقتباس والتعلم والإرتقاء لمن رغب في ذلك.

ولا ينطبق الأمر علينا فحسب خلال إنتقالنا لضفتهم بل تنطبق على كل من سافر أو أقام من الغربيين في ديارنا، فانه يصبح أكثر كياسة ومفهومية وتميز ووسع أفق وحتى تسامح، بالمقارنة مع أقرانه من الغربيين غير المطلعين علينا. وبذلك تتجسد لنا الظاهرة وعكسها، حيث تكتمل الصورة لدى الغربيين مثلما أكتملت لدينا. ومن خلال تجربة قوافلنا التي سعت لإستقطاب المغتربين العرب في الأصقاع كذلك، بأن للإغتراب الثقافي وجع روحي "أي نعم"، لكنه بالمقابل خصب معرفي.

إن التخطيط للثقافة كان مسلكنا خلال سعيينا دائما، فبالأمس رحل مع (سبلة عمان) واليوم تجسّد في (أثير)، والأمر نابع من شعورنا بأهميته التاريخية، ويكوننا إحدى ممثلين ثقافتنا التي تحمل من الحس الإنساني الجدير بتقديمه للآخر، حيث كانت وتبقى رسالتنا تتعلق بأن يكون للإنسان يد أقوى في البناء والعمل والتغيير وخاصة

في الفترة الراهنة التي نعاني من تراجع في الأداء الثقافي وإنحسار القراءة وشيوع الأمية بنوعيتها البسيط عند عامة الناس وعند المتعلمين أنفسهم، وهنا نشير إلى أن عدد الأميين في الثقافة العربية يبلغ حوالي مئة مليون أمي لثقافة يبلغ المنتمون لها حوالي ٤٥٠ مليون. فالجهل يعني الفراغ الذي تسكنه الوسائيس والخبث، وأن المفاهيم المغلوطة السائدة يمكنها أن تحول منطقة ثقافية بأسرها من كونها ميدانا لإنتاج الثقافة المبدعة كما الثقافة العربية التي تشكلت من تراكمات واردة من عمق الأزمنة، إلى كونها ميدانا للاستهلاك والتبعية والإتكالية.

إن الأفراد الواردين من ثقافات شتى يحملون في كل شاردة وواردة فيهم رسائل ورموزا يمكن أن تفسر بطرق مختلفة، مما يزيد من فرص حدوث سوء الفهم، حينما يلعب وسيط خبيث في نقلها وتأويلها بغرض التأجيج وزرع البغضاء، وهذا ما يحدث اليوم من نزاعات جزافية في المجتمعات العربية التي تحولت من ثورات على سلطات وطغيان إلى مهاترات وقتل رخيص وتصفية حسابات وترديد شعارات خلطت المقدس بالمندس، حتى لم نعد نميز في هرجها بين الحق والباطل.

ولامناص بأن ثمة وجود لاختلافات ثقافية، تستدعي من أصحاب الوعي الحيطه والحذر من سوء التفاهم، مفترضين دائما أن أفكار الآخرين وتصرفاتهم ليست بالضرورة مماثلة لأفكارنا وأفعالنا، وأن القبول بالآخر على عواهنه هو من سمات الإرتقاء بالحس وإنفصام تام بين الوحشية والحضارة. ولاسيما أن تلك الافتراضات المبالغ بها تنبع من جهل، يكون في غاية الضرر ويمكن أن يؤدي إلى الكثير من الإحباط والضياع للأفراد والجماعات من الثقافتين. ولا بدّ من إقرار أن التواصل الثقافي لا يستهدف الوصول إلى حالة من المطابقة بين الثقافات، وإنما يستهدف بالدرجة الأولى تقديم الحوار وتفضيله، والاستيعاب وإبراز المضامين الإنسانية والحضارية المشتركة بين الثقافات.

ونتلمس من بين النتائج الكارثية للجهل بهذه الحقيقة هو سوء الفهم المستشري، حينما ينتقل الفرد ويعيش بين ظهرائي ثقافة جديدة وهو يحمل عليها ضغينة مسبقة ويتعصب ضدها، ويحمل في دواخله بأن ثقافته هي الصحيحة والأنضج وهذا ما اضر سمعتنا حينما سخرت آراء هؤلاء بحبث وضخمت عمدا. لذا فإن الثقافة

تبقى نظاماً مشتركاً من الرموز والعقائد والاتجاهات والقيم والتوقعات والمعايير الاجتماعية المتجسدة في السلوك البشري. وهي تشير إلى أواصر و"تعارف فرقاني" بين البشر سواء أقاموا في مجتمعاتهم أو مجتمعات أخرى، وإن التفاضل بينهم هو سلوكهم ومسلكهم القيمي.

إن أصرارنا على تسيير تلك القوافل دورياً، وكل عام مع ما نعانیه أحياناً من مصاعب ومتاعب، يأتي من إيماننا بأن اصطناع تلك اللحظات بالاتصال بالآخر وإيضاح الأمر له، يصب في صالح ما نكتسبه من تجارب، ويبني أساساً لمستقبل تواصلنا واعد، والأهم في ذلك هو إيصال ثقافتنا لهم، حيث أن الشعر والمسرح والتشكيل والمعارض الفنية والأرشيفية والموسيقى، أمست لغة تواصل عالمي لاحتاج أحياناً حتى إلى شروح وتراجم، بل تقرأ كوسائل لتفاهم أصحاب المشارب المشتركة، ممن تجمعهم الإنسانية الشاملة. وقد رصدنا من التجربة أن صدق المشاعر كان كفيلاً بأن يذلل فهم ما نقدم، حتى إذا كان المتلقي لا يعرف العربية، وقد رافقت فعاليات قافلتنا الأخيرة لباريس ترجمة فورية، بيد أننا قصدنا في (قوافلنا) كذلك تجمعات النخب العربية التي اضطرتها ظروفها إلى ترك الأوطان والإقامة في الغرب، وقد أحاطونا بكل شغف وإهتمام وتقدير، وكأننا حملنا لهم أوطانهم إلى مغرباتهم وقد مناهم لمجتمعاتهم الجديدة، بالصورة اللاتقة التي يتمنونها، وهو مجد ذاته غاية في لم شمل ثقافتنا المشتته في المناف.

ورغم إعتقادنا بوحدة ثقافة الغرب لكننا لا بد أن نقر بأنهم ثقافات أقلها إختلاف يكمن في بلبله الألسنة، وحتى التباين في العقلية أحياناً، كون الإنسان نتاج بيئته الطبيعية كذلك. وهذا يخالف ثقافتنا، فنحن القادمين من عمان نمثل المغربي والعراقي مثلاً مثل العماني، وهكذا فإننا بمساعنا نمثل ثقافة مترامية الأطراف تدعونا إلى الإعتداد والفخر بذاتنا الجامعة. فمنتجنا المشترك يشفع لنا أن نتكلم باسم كل المنتج الثقافي العربي، وهذا ما يعزز وجودنا، حينما يتابعنا ليس أقل من ستة أو سبعة ملايين عربي في فرنسا وحدها، وربما الأمر عينه يحدث في بريطانيا، التي تشكل التجمعات الثقافية العربية المهاجرة ثقل منتج ومبادر، ومنسي في بعض

الأوساط، لذا فإن التواصل مع تلك الفعاليات، هو مشروع للجمع والتآصر، والإفادة من منتج ناضج وإستدراك لكنز ورصيد يثري ثقافتنا الواعدة والصاعدة بجهود أهلها. واستمراراً للنهج الذي انتهجه "أثير"، وحرصاً منها على أداء رسالتها الإعلامية والثقافية تتواصل هذه القافلة، إيماناً منها في المساهمة في نشر الرؤى الثقافية والحضارية في كافة المجالات، إلى جانب فتح الفرصة أمام المثقفين والإعلاميين والفنانين التشكيليين للتعرف على ثقافات عالمية، هذا إلى جانب عولمة الثقافة والحضارة العمانية في كافة بلدان العالم وتعريف العالم بما وصلت إليه السلطنة من إنتاج ثقافي وتطور معرفي، ومواكبة لاحتفالات السلطنة بالعيد الوطني المجيد.

وقد بنت "أثير" جسراً من التواصل الحضاري والثقافي في كثير من المناسبات والفعاليات من أجل الاهتمام بالشباب العماني لإفراز إبداعاتهم في شتى المجالات، وخاصة ونحن نعيش فترة الاهتمام بهذا الجيل الواعد والصاعد إلى توصيل واجبه بطريقة تنم عن نضوج في وضوح الدور الملقى على عاتقهم، كما إنني أشيد بتعاون كافة الجهات في تسهيل سير هذه القافلة الحكومية منها وكذلك القطاع الخاص.

وهذا الكتاب يقدم تفاصيل عاشها الشاعر والكاتب "عبدالرزاق الربيعي" معنا وهو يقطع تلك الخطوات المتجهة إلى (غرب المتوسط) حيث أوروبا، بكل كنوزها المعرفية والجمالية، وقام بتدوين تلك التفاصيل بلغة تجمع بين الشعر والسرد والمعلومة الجغرافية والتاريخية، انقاداً لها من الوقوع في فخاخ النسيان رغم أن هناك الكثير الكثير من المعطيات التي تحتاج أكثر من كتاب للإحاطة بها.

موسى بن عبدالله الفرعي

رئيس تحرير صحيفة "أثير" الإلكترونية

كلمة أولى

ذات يوم من عام ٢٠١٠ م كنت أستمع إلى الصديق موسى الفرعي وهو يحدثني عن فكرة قافلة تكون وجهتها بريطانيا لتقيم فعاليات ثقافية في لندن وكمبردج ومانشستر، وكنت أظن إنه يتكلم بوحى من جلوسه على رابية عالية تطل على بقعة فسيحة من منطقة الحلم، لكن هذه الأحلام سرعان ما تختفي وتتلاشى حينما تصطدم بمشكلات الواقع، وكعاداتي مع الحالمين كنت أجاريه في حلمه الجميل، بل صرت أفكر معه واضعا في إعتباري إنني، في حالة سقوط هذا الحلم مضرجا بدم خيبتنا فإننا لن نخسر شيئا سوى حلم من الأحلام في واقع عربي إعتدنا على شراسة سكينه وهو يشهرها على مذبح الأحلام، التي تهدد كيانه السكوني وتخرج وجوده، فيقطعها من الوريد إلى الوريد !

في لندن فتحت عيني على اتساعهما لأرى الحلم يتمشى في العاصمة التي يصدق بها الوصف أنها متحف، فكل جدار بها يتحدث عن زمن مضى لكنه يقف شاخصا مؤكدا عراقا المكان وامتداداته في الوعي والفكر والمعرفة الإنسانية، فكان تمازجا جميلا بين ضيوف قدموا من الجنوب الشرقي للجزيرة العربية الزاخرة بحكايات أمجاد لا تبلى وإرث حضاري وتاريخ ضارب في عمق الوجود الانساني ومكان يحتفي بكل ما هو قديم وعريق وحضاري.

في كمبردج حيث توجد أقدم جامعة في العالم المعاصر، بإعتبار ان المستنصرية ببغداد تعد الأقدم لكنها الآن تحولت إلى جدران بالية مختلف على مكانها، أقول: في كمبردج وجدنا أستاذا عمانيا يدرّس بها هو الدكتور "عبدالله باعبود" يعرفنا على كليات الجامعة وتواريخها وليحدثنا بفخر عن فتاة عمانية كانت تمتلك كلية من كليات الجامعة دون أن يذكر، لشدة تواضعه، لنا شيئا عن إنجازاته العلمية وعطاءاته على مدى عشرين سنة أمضاها في كمبردج.

وحين ودعنا بابتسامته الجميلة ليواصل إشتغالاته العلمية ظل حوارنا مع الأمكنة متواصلًا وهو حوار يفتح أكثر من نافذة تؤكد أن المجتمعات التي تنظر للتراث بعين الإحترام والتقدير تجد الطرق معبدة لإدامة هذا الحوار.

وفي مانشستر التي تعد ثاني أكبر مدينة في بريطانيا والتي منحتها كرة القدم شهرة من خلال نجومية "مانشستر يونايتد" بين أندية أوروبا وجدنا هناك قامة عمانية رياضية تقف بكل صلابه وثقة في عالم كرة القدم: "علي الحبسي" الذي حضر الأمسية الشعرية والقصصية التي أقامتها القافلة وتفاعل مع النصوص مما جعل القاص سليمان المعمرى يقرأ نصا بالاستعانة بجهاز اللابتوب تتحدث مناخاته عن هوس أحد أبطال قصصه بكرة القدم وبعلي الحبسي نفسه

وفي كل تلك الأماكن التي زارها المشاركون تركوا بصمة وذكري وجملة وأثرا ويكفي أن الجمهور الكثيف الذي ملأ قاعة مؤسسة الحوار الإنساني بلندن طلب من المشاركين في الأمسية الشعرية والقصصية التي زاد وقتها عن الساعتين قراءة المزيد من النصوص والحديث عن الوضع الثقافي العماني الراهن وعن القافلة، التي انتقلت في العام التالي إلى باريس لتقيم عددا من الفعاليات منها أمسية شعرية وسردية ومحاضرة في التجربة التشكيلية العمانية وعرض مسرحية "مجرد نفايات" التي عدت أول مسرحية عمانية تعرض في باريس، ونحن لاحظنا قلة الكتب العمانية في مكتبة معهد العالم العربي نظم الفرعي قافلة خاصة لفتح ركن للكتاب العماني في مكتبة المعهد، واقامة أمسية للشاعر الكبير سيف الرحبي شارك بها مثقفون عرب مقيمون في باريس كعبد اللطيف اللعبي وواسيني الأعرج و خليل النعيمي، تبع ذلك قافلة أخرى إلى باريس وبروكسل شهدت عرض أوبريت "أحفاد السندباد" وقراءات شعرية بمصاحبة عزف موسيقي حي للعازف يعقوب الحراسي، ومحاضرة للدكتور عبيد الشقصي وافتتاح معرض للفنانة عالية الفارسية منها معرض تشكيلي، فعاليات عرفت بالمبدع العماني في أوروبا، بجهود واجتهادات فردية، وهو ما جعل أحد الأصدقاء يسألني، عمن يقف وراء القافلة، فأجبت: لا أحد، وفي الوقت نفسه الجميع، فرأى أن الإجابة غامضة، فأوضحت له: لا توجد مؤسسة رسمية أو خاصة محددة تقف وراء هذا النشاط، مجموعة من الحالمين بواقع ثقافي أفضل، والمتحمسين لفتح خطوة أوسع

لمن يسير في طريق العمل الثقافي، وهو حماس يطل على مسارات، ومجالات أخرى رياضية، واجتماعية، وفنية، وفي الوقت نفسه، يقف جميع من يحب خدمة المجتمع العماني إلى جانب هؤلاء الحالمين بكل ما أوتوا من قدرة، وأضفت لسائلي: على سبيل المثال، الطيران العماني تكفل بدفع تذاكر المشاركين وقامت عمانتيل للاتصالات بتغطية بعض نفقات القافلة إلى جانب مؤسسات أخرى ساهمت ولو بشكل رمزي بدعمها، وكان السائلون يعجبون ويقولون: جميل أن نسمع بفيض ثقافي يأتي من منطقة الخليج العربي والأجمل أنه يأتي من شباب عمانيين لديهم كل هذه الطاقة على بناء الأحلام والسعي لتحقيقها على أرض الواقع.

وبعد مشاركتي في القافلة السادسة التي توجهت إلى باريس تجمعت لديّ مشاهدات وتفاصيل وانطباعات قمت بتدوينها في هذا الكتاب الذي أتمنى أن أكون من خلاله قد قدّمت اضاءات عن أبرز محطات تلك القافلة مستذكرا القوافل السابقة مفردا ملحقا لأهم ما كتب عن القوافل السابقة والمحاضرات التي قدّمت خلالها، وهو غيض من فيض يحتاج إلى وقت وجهد لحصره.

عبدالرزاق الربيعي

١٣ - ١ - ٢٠١٤ مسقط

انفتاح على العالم

لأن عمان، عبر التاريخ، عرفت بانفتاحها على العالم من خلال القوافل التجارية التي كانت تسيّرهما لتنقل اللبان والبخور والنحاس والبضائع العمانية إلى البلدان الأخرى أصبحت "القافلة" عنواناً لرحلة ثقافية سنوية تقوم بها "أثير"، هذه القافلة تختار كل سنة عاصمة أوروبية أو أكثر، لتقيم فعاليات وأنشطة، ثقافية، وموسيقية، وغنائية ومعارض تشكيلية وتقديم عروض مسرحية، خلال احتفالات السلطنة بالعيد الوطني، وقافلة "أثير" إمتداد لقافلة "سبله عمان" التي سبق لها أن سيّرت خمس قوافل ثقافية الأولى إلى "مانشستر" وقدمت خلالها مسرحية "الجسر" لفرقة الدن للثقافة والفن ومسرحية "الجسر" من تأليف آمنة الربيع وإخراج محمد النبهاني وسعيد البوسعيد ومساعد المخرج محمد الهنائي، وتمثيل إدريس النبهاني ومنيرة الحاج وأسعد السيابي وأحمد الشريقي، وفي الديكور والملابس التشكيلية بدور الريامية وفي الموسيقى محمود المخرومي وإبراهيم الشريقي وفي الإدارة مصطفى الرحي. وتتطرق المسرحية التي شاهدها حين جرى عرضها في مهرجان المسرح العماني الثالث، لقصة الجندي القديم "قاسم" والذي تستهويه اللوحات والرسم، وزوجته "وصال" التي تحاول أن تلتهم لحظة سعادة زوجية من زوجها البارد عاطفياً كما تراه، تحاول وتحاول لفت إنتباه مشاعر زوجها، ولكن لا مؤشرات إيجابية من جهته، بدعوى أنه منهك بتذكر الهزيمة التي حلت بفصيله خلال الحرب، ودائماً يزعجه الكابوس في المنام متذكراً "الجسر" الذي شهد على هزيمتهم، "قاسم" يتذكر تفاصيل الهزيمة وتثقل كاهله مما تسبب له عقدة نفسية جراء الهزيمة، البندقية دائماً تحتضنها "قاسم" لتواسيه عن الهزيمة؛ وسط هذه الأفكار السوداوية لقاسم تحاول زوجته "وصال" أن تنال شيئاً من حقوقها الزوجية أو على أقل تقدير لحظة حنان تحسسها أنها زوجة لرجل لا لجماد، دائماً تتمنى "وصال" أن يكون لها ولد من زوجها "قاسم" ولكن قاسم يمضي كل وقته منفرداً لا يحب أن يقترب منه أحد، تحاول "وصال" تسليّة

نفسها بحشو بطنها بالقطن لتوهم زوجها بأنها حامل، وتتصنع حركات الحوامل مثل ربط شعرها وتمديد رجلها وتنادي زوجها ليكون لها عوناً أثناء الحمل ولكن قاسم لا يعنيه الأمر بتاتاً بل يسترجع بذاكرته صورة إحدى الفتيات اللاتي شاركن معه في الحرب وهي "رفيعة أبو سنة" ورغم أنها كانت الأمر الناهي في الجيش إلا أنها الآن تعمل في إحدى الحانات، "وصال" ترثي حالها عندما قررت الزواج من "قاسم"، في تلك المواقف السابقة واللاحقة يكون السرير أداة رئيسية في المسرحية. تتطور الأحداث ويمرض "قاسم" ويأتي "الطبيب نيمر رشاد" صديقه القديم في الحرب ليعالجه ويكشف لزوجته "وصال" بعضاً من حقائق "قاسم" البائسة، ويدخل أيضاً صديقه الجندي القديم "أمين رمضان" الذي أصبح تاجراً ويحاور "قاسم" لغريه بالعمل لديه في شركاته وهو يبطن الخبث للوصول لزوجته "وصال" التي أعيها جمود عواطف "قاسم" نحوها وتفكر في الطلاق منه، تستمر الأحداث بطريقة دارماتيكية تنتهي بنهاية رومانسية عندما ترضخ عواطف "قاسم" لزوجته ويدرك حبها له ورغبتها في أن يكون لديهما ابن حينها يلتقيان بعواطفهما ومشاعرهما الصادقة، وهكذا تنتهي المسرحية.

وكانت الفنانة شمعة محمد ضيفة القافلة التي بدأت فكرتها بمشاهدة موسى الفرعي للعرض وطرحه فكرة عرضه على الطلبة العمانيين بمانشستر، فقبلت بالإرتياح، وبعد أسابيع قليلة تحولت إلى واقع.

إغراء المجهول

ردود الأفعال التي استمع إليها منظمو القافلة الأولى شجعتهم على تكرار التجربة، ولكن بشكل أوسع، بعد عام بدأت الأفكار تتجمع، فكانت القافلة الثانية التي توجهت إلى لندن ومانشستر وكمبردج حيث أقامت القافلة ثلاث أمسيات ومعرضاً تشكيميا، وقد قدم الدكتور صادق جواد محاضرة في جامعة كامبردج بعنوان "وحدة الحالة البشرية واختلاف التفكير البشري"، استعرض فيها جوانب الاتفاق بين الإنسانية التي تزيد عن جوانب الاختلاف بحضور سعادة السفير البريطاني السابق عميد كلية والملحق الثقافي بلندن والمشرف على كرسي السلطان قابوس للدراسات العربي وعدد من الطلبة والمهتمين بالحوار الثقافي..، فيما قدم الدكتور هلال الحجري محاضرة بعنوان "إغراء المجهول: عمان في الأدب الإنجليزي"، وأحيا كل من ناصر البدري ومازن حبيب وهدى حمد وكاتب السطور أمسية شعرية قصصية بمركز الحوار الإنساني، تبعثها أمسية قصصية وشعرية لكل من: سليمان المعمري ومازن حبيب وهدى حمد وخميس قلم وجابر الرواحي وبدرية العامرية وذلك بجامعة مانشستر.

حين انطلقنا من لندن إلى الشمال الغربي من إنكلترا حيث تقع مانشستر ثاني أكبر مدينة بريطانية بعد قطع مسافة ١٦٧ ميلاً كان نادي مانشستر يونايتد شاخصاً بأذهاننا لشهرته التي طبقت الآفاق في عالم كرة القدم ويعد من أشهر أندية العالم

لذا كان إدراج فقرة زيارته من أبرز الفقرات التي حرص جميع المشاركين رغم أن معظمهم من الأدباء والمثقفين

قلت لمن كان معي "حسب المفهوم الواسع للثقافة فإن نادياً رياضياً صار من أبرز معالم بريطانيا وجعل مدينة مانشستر معلماً يدخل في مجال الثقافة أيضاً"

فأيدني الشاعر ابراهيم السالمي وقال "تؤكد الإحصائيات أن لدى هذا النادي حوالي ٣٣٠ مليون مشجع حول العالم فتخيل أن كل تلك الملايين تحقق صوب هذا المكان الآن وتحسدنا لأننا نتجول به"

قال القاص سليمان المعمرى بلغته الساخرة "سأكتب قصة رياضية إذن" وربما هذا هو السبب الذي جعله يلقي قصة قصيرة يتحدث بطلها عن إعجابه بكرة القدم وبحارس المرمى علي الحبسي الذي حضر الأمسية، وشارك بها : خميس قلم وهدى الجمهورية ومازن حبيب وبدرية العامرية وجابر الرواحي وقدمها ابراهيم السالمي فتفاعل مع النص وأشاد به وكانت عدم مشاركته مع المنتخب في خليجي ٢٠ هي القاسم المشترك في الأحاديث التي دارت معه بعد الأمسية

كنا خلال ذلك ننتظر الدليل السياحي الذي يدور بنا في قاعات النادي وغرفته ليعرّفنا على النادي وتاريخه بعد أن اقتطع لنا الأخ موسى الفرعي تذاكر دخول وجلب معها "باجات" علقناها على رقابنا وحين طال انتظارنا رحنا نزجي الوقت بالتجول في متحف مليء بالكؤوس التي أحرزها النادي الذي يعود تأسيسه إلى عام ١٨٧٨ عندما طلب عمال شركة السكة الحديد إنشاء فريق لكرة القدم ، وبالفعل تم منحهم الاذن وتم انشاء فريق اسمه نيوتن هيلث وكان لهم ملعب النورث روود بدأ الفريق بلعب مباريات قليلة بالبداية وخاصة مع فرق للسكك الحديد الاخرى ، وفي موسم ١٨٨٢- ١٨٨٣ لعب الفريق ٢٦ لقاء وديا وإنضم إلى بطولة الدوري الإنجليزي الممتاز عام ١٨٩١ ، ولعب بدوري الدرجة الأولى بشكل متتالي منذ عام ١٩٣٨ كما أكد الدليل السياحي موضحا أن نجومية النادي سرعان ما ارتفعت وتمكن من تحقيق أول بطولة أوروبية له عام ١٩٦٨ ويملك الفريق الرقم القياسي في تحقيق بطولة كأس إنكلترا حيث حققها ١١ مرة

كارثة ميونخ

ثم قال سننتقل الآن إلى الخارج فوقفنا عند لوح به صور لاعبين والى الأعلى توجد ساعة تشير إلى ساعة تحطمت بها طائرة تقل الفريق من ميونخ في السادس من فبراير عام ١٩٥٨ فلقى خلال ٢٣ شخصا مصرعهم في الحادثة بينهم ٨ لاعبين وكان الفريق قد وصل ليوغوسلافيا حيث اقلعت الطائرة من بلغراد وتوقفت في ميونخ من اجل اعادة تعبئة البنزين . وتأخر الاقلاع مرتين بسبب عطل . وتم ضبطه وإصلاحه من قبل عمال مطار ميونخ . والعطل كان شيئا في مكينة الطائرة يتسبب في اسراعها بشكل غير طبيعي . تمكن الطياران أن يقلعا هذه المرة وفجأة تعطلت المكينة وانحرفت الطائرة عن طريق الاقلاع واصطدمت بالسور ومن ثم بيت بالجانب وانفجر خزان الوقود ، سبب الحادثة هو الثلج الذى على طريق الاقلاع الذى تسبب في انحراف الطائرة ومن ثم الانفجار ، شاهدنا صورا للمراحلين مارك جونز ، ديفيد بيغ ، روجر بيرن ، جوف بنت ، ايدى كولمان ، ليام ويلان وتومى تايلور ، سكرتير النادي والتر كريكمير والمدربين توم كيرى وبرت والى توفوا هم ايضا فيما بعد ، دونكان ادواردز

وقال بألم وهو يوجه أنظارنا إلى ساعة تشير إلى ساعة وقوع الكارثة " لقد كان ٩ فبراير اسوا يوم في تاريخ كرة القدم الانجليزية"
وأضاف "بالطبع هذا الجانب من النادي مفتوح للزوار مجانا للإطلاع على تفاصيل الحادث"

وهذه ليست الكارثة الوحيدة في تاريخه إذ واجه النادي الافلاس عام ١٩٠٢ ولكن جون هنري ديفيز دفع الديون وغير الاسم إلى مانشستر يونايتد ، وغير ألوان الفريق من الذهبي والأخضر إلى الأحمر والأبيض .

ممرات ضيقة

بعد ذلك تحولنا في ممرات النادي الضيقة التي تدل على بساطة وحتى غرف

اللاعبين فقد كانت صغيرة وفي إحدى الغرف الصغيرة شاهدنا قمصان اللاعبين معلقة مع أرقامهم وشرح لنا الدليل مكان جلوس المدرب وهي يعطي تعليماته للاعبين قبل بدء المباراة وخلال الإستراحة، فيما يجلس أولادهم وعوائلهم في قاعة أخرى صغيرة تقدم لهم بها المشروبات والمأكولات والألعاب للصغار، ثم انتقلنا إلى المكان الذي يتجمع به لاعبو فريق النادي مع الفريق الخصم حيث يقف الفريقان بخطين متوازيين بعد ذلك يقف كل لاعب بمواجهة مقابله من الفريق الآخر. هنا طلب منا الدليل السياحي أن ننقسم إلى فريقين وطلب منا أن يصافح كل فريق الشخص الذي يواجهه من الفريق الثاني ثم طلب منا المسير على أنغام موسيقى تعزف عند خروج الفريقين للملعب.

وبعد انتهاء العزف وجدنا أنفسنا قد وصلنا إلى المستطيل الأخضر. كدت أن أسمع أصوات المشجعين وهي ترتفع تحيي اللاعبين وتتعلق أنظارهم بالكرة التي تتقاذفها الأقدام التي تصنع الألعاب الجميلة بخفة ورشاقة.

استحضرت تاريخ الملعب الذي افتتح عام ١٩١٠، كما تؤكد الموسوعة الحرة، عندما بدأ لاعبو النادي من الملعب القديم الذي يقع في شارع كلايتن غرب مدينة مانشستر الذي بني عام ١٩٠٩. وقد صمم من قبل المصمم الاسكتلندي آر تشيبالد. وتضيف الموسوعة " لكن ملعب الأحلام تحطم خلال الحرب العالمية الثانية ولعب بعدها اليونانيتد على ملعب المانشستر سيتي لمدة ثلاث اعوام ١٩٤٦-١٩٤٩. في الستينيات بدأت عمليات التجديد للملعب وكانت هذه فترة استضافة كأس العالم عام ١٩٦٦ في إنكلترا ابتداءً بعمليات التجديد على مقاعد الجلوس وجوانب الملعب، وبعدها كان له النصيب في إعادة نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي بين تشيلسي وليدز يونانيتد، ومن بعدها أصبح الأولد ترافورد الملعب الأول. في الستينيات والسبعينات والثمانينات كان يتسع الملعب لأكثر من ٥٨,٠٠٠ متفرج، وفي عام ١٩٩٦ كان للملعب دور كبير في بطولة أمم أوروبا حين استضيفت في إنكلترا ولعبت مباراه قبل النهائي على هذا الملعب الشهير، وأولد ترافورد كان له نصيب الأسد في استضافة نهائي (التشامبيونز ليغ) دوري أبطال أوروبا في عام ٢٠٠٣ والذي جمع الميلان واليوفى وقد فاز الميلان في تلك المباراة. عام ٢٠٠٥ عُمل

على توسعة الأولدترافوورد بشكل كبير خاصة في الجهة الشمالية الغربية والشرقية ووصل حتى ٧٥,٠٠٠ متفرج"

طبقة جليد

شاهدنا أعمدة حديدية تحمل أضواء كاشفة موضوعة وسط الملعب الذي توجد على سطحه طبقة خفيفة من الجليد. قال الدليل السياحي "إن الأضواء تعمل على إذابة طبقة الجليد وتجفف العشب استعدادا لمباراة الغد مع إحدى الفرق- وكانت أقدامنا على الملعب خضراء لأن الفريق فاز في المباراة التي أقيمت في اليوم التالي بنتيجة مشرفة هي ٧ مقابل ١ للفريق الخصم-

ثم انتقل بنا إلى أماكن جلوس اللاعبين الإحتياط والمدربين ومساعدتهم من كلا الفريقين بعد ذلك خرجنا إلى محلات لبيع كرات تحمل شعار النادي الذي ستظل زيارتنا له في الذاكرة.

مدينتا النور والضباب

بعد العودة إلى مسقط، قال الفرعي " ستكون وجهتنا القادمة باريس" وهو خبر أسعدنا كثيرا، سنرى إذن عاصمة النور والجمال، والمكان الذي يقيم به الكثير من الأدباء والمثقفين العرب بما لا يترك المجال لانطلاق سؤال: لماذا باريس؟ فضلا عن الصلات العميقة التي تربط السلطنة بفرنسا، فحين التقينا معالي د. أحمد بن ناصر المحرزي بمقر السفارة العمانية بباريس، عندما كان سفيراً للسلطنة، حدثنا عن العلاقات العمانية الفرنسية، وما جاءت به الوثائق التاريخية حول تلك العلاقات، وقد أشار في اللقاء، قائلاً: كما هو معروف أن العلاقات العمانية الفرنسية لها جذور تاريخية وتوجد لدينا الكثير من الوثائق ومنها مثلاً الزيارة التاريخية التي قام بها السيد برغش بن سعيد بن سلطان (١٨٧٠ - ١٨٨٨) وجاءت بها أحد الصحف الصادرة في عام ١٨٧٥ حيث تم توثيقها بالرسم لعدم وجود كاميرات التصوير، وتوضح الرسوم والوثائق أن الوفد الرسمي أقام في فندق اللوف بالقرب من متحف اللوفر، وتشير الوثائق إلى حفاوة الاستقبال التي حظي بها السيد

برغش والوفد الرسمي المرافق له، إلى جانب ما توضحه الرسوم الكاريكاتورية التي تتحدث عن رؤيته حول الملابس الحديثة حيث يقال إنه كان لا يحبذها على الطريقة اليابانية في تلك الفترة، وهذا يدل على أحد الأدلة في العلاقات العمانية الفرنسية لكنه ليس الأقدم، وإنما هناك الكثير من الوثائق، وكما يعرف الجميع أن التواجد الفرنسي في المحيط الهندي بدأ منذ عام ١٦٤٠ ومنها بدأ التواصل التجاري ومن عام ١٦٦٠ أصبحت السفن الفرنسية تزور ميناء مسقط بصفة دورية، وتقريبا عام ١٧٨٥ تم الاتفاق بفتح قنصلية فرنسية عن طريق الوفد الذي زار مسقط في تلك الفترة، لكن بسبب الأحداث والحرب الأهلية (الثورة الفرنسية) في فرنسا لم ينفذ الاتفاق إلا بعد مرور ١٠٠ سنة أي في عام ١٨٠٠، ويعود أول اتفاق تجاري وقع في عهد السيد سعيد بن سلطان حسب ما تشير الوثائق المتوفرة، وفي فترة من الفترات أثّرت العلاقة العمانية الفرنسية في المحكمة الدولية وذلك عندما قدمت فرنسا بشكوى ضد بريطانيا بعد اتفاق الفرنسيين مع السيد فيصل بن تركي باستئجار منطقة بر الحصة لتخزين الفحم الحجري للسفن البخارية، لكن بعد ما علمت بضغط البريطانيين لإلغاء الاتفاق بسبب النفوذ البريطاني الكبير في تلك الفترة، فتقدمت بشكوى حيال ذلك، فهناك الكثير من الوثائق تم الاحتفاظ بها لكن على الجهات المختصة البحث والتنقيح فيها لتتوافق مع الكثير من الكتب التاريخية، بعدها استمرت العلاقة حتى بعد فترة حكم السيد سعيد بن سلطان، حيث تركزت على جزيرة زنجبار بحكم التواجد الفرنسي هناك، ولدينا طلب من هيئة الوثائق والمخطوطات العمانية بإعادة جمع والبحث في الأرشيف الفرنسي العماني، وفي فترة الثمانينات تم جمع كثير من الوثائق، وقامت السفارة الفرنسية بترجمة مجموعة من هذه الوثائق في كتيب بمناسبة زيارة صاحب الجلالة الرسمية لفرنسا في عام ١٩٨٩، ولكن هذا جزء من هذه الوثائق، والآن قمنا بحصر الوثائق عن طريق أرشيف وزارة الخارجية ووزارة الدفاع التي كانت تسمى وزارة ما وراء البحار الجهتين المعنيتين بالبريد في تلك الفترة، ونقوم في نفس الوقت بالتشاور حول الآلية التي تساعد في هذا البحث، فهناك الكثير من النقاشات تدور حيال هذا الموضوع.

وأضاف سعادته قائلا: بالنسبة لمعرفة الفرنسيين بعمان قليلة وتعود إلى قلة المعلومات المتاحة باللغة الفرنسية لأن الفرنسيين قراء باللغة الفرنسية، وأيضا طبع

الفرنسيين في ثقافتهم حول الشعوب الأخرى هي أيضا قليلة، وهذه إشكالية في جميع الدول الغربية، لذلك وبعد افتتاح المكتب السياحي في السفارة منذ أربع سنوات حاولنا تسويق السلطنة للسياح الفرنسيين، وهذا يعتمد على ما هو موجود

وفي محاضرة قدمها الدكتور عبيد الشقصي حول العلاقات العمانية الأوروبية بمعهد العالم العربي بباريس خلال القافلة الخامسة قال "لقد عرفنا نحن العمانيين فرنسا في سجل تاريخي يمتد لمئات السنين تارة في إطار البحث عن السيطرة والنفوذ في القرن الإفريقي وتارة أخرى في إطار التجارة وتبادل المصالح والتعاون المشترك).

ما تجدر الإشارة إليه هو أن لفرنسا بيت في عمان أهدها إياها السلطان فيصل في عام ١٨٩٦ ليكون مقرا للقنصلية الفرنسية حتى عام ١٩٢٠. هذا البيت لا يزال قائما بمسمى المتحف العماني الفرنسي. ولكن الأهم أننا عرفنا فرنسا بل وأوروبا عبر مفكرها الذين لا زالوا حتى اللحظة يمثلون مادة للتدريس في مدارسنا وجامعاتنا. فلا يمر ذكر الحرية دون التعرّيج على فلاسفة التنوير أمثال الفرنسيين رينيه ديكارت، وفولتير والأوربيين الآخرين أمثال جان كاك روسو، وجون لوك وديفيد هيوم وستيوارت مل وإمانويل كانت". وعلى العموم فإن للثقافة الفرنسية تأثير مباشر على الثقافة العربية عموما، وذلك من خلال القنوات المصرية منذ مشروع محمد علي وورثته، ثم الشمال الإفريقي من خلال الإستعمار الفرنسي، وكذلك الحال مع بلدان الشام (سوريا ولبنان)، حيث نجد الكثير من المعطيات التي وردت إلى عمان من خلال تلك الروافد الفاعلة والمتناقضة مع الآخر، والتي أمست من المسلمات في الثقافة العمانية، ويمكن ان تشكل بؤر للحوار المشترك.

وقد يشعر زائر باريس بأنه يسير في متحف مفتوح، حين يشاهد المنحوتات في كل حذب وصوب واللمسات الفنية على كل جدار وجبهة بناء، وفي كل زاوية وركن، وقد انعكس هذا على كل شيء في الحياة الباريسية، حتى لنجد قناني الماء الزجاجية قد حملت في أشكالها لمسات فنية جميلة، ويمكن أن يكون ذلك معيارا نقيس عليه. فالثقافة الفرنسية تهتم بالجماليات والأشكال، وربما يقع الأمر على نقيض الثقافة الإنكليزية التي تنحى مثل مثيلاتها (الأنكلوسكسونية) إلى الإهتمام بالمحتوى والمباشرة وملموس الأشياء، وربما كان هذا وراء التناقض في الثقافتين، في الجانب

الخفي، فالعقلانية الإنكليزية أخذت من واقعية فيلسوفها (فرانسيس بيكون ١٥٦١-١٦٢٦) صاحب منحى "الملاحظة والتجريب"، بينما الفرنسية نحت نحو التعقيد والشكلانية، رغم بداياتها الشكوكية من خلال سطوة فيلسوفها (رينيه ديكارت ١٥٩٦-١٦٥٠).

ثقافات فاعلة

وهكذا يمكن أن تتنوع فعاليات أي قافلة ثقافية في لجة تلك الثقافات الفاعلة والمؤثرة، ونجدها قد تجسدت في القافلة - الثالثة - حيث تضمنت عرض مسرحية "مجرد نفايات" للكاتب قاسم مطرود، والمخرج خالد العامري، وأمسيتين شعريتين ومحاضرة قدمها الفنان عبدالناصر الصايغ إلى جانب فقرات إنشادية لبدر الحارثي وزيارات لمتحف اللوفر وقصر فرساي وجامعة السوربون ومعالم باريس، التي رأيناها من خلال رصدنا لتركة مهندسها البارون (يوجين أوسمان ١٨٠٩-١٨٩١) الأكثر رسوخا على نسيجها العمراني، حينما نسخ أحياءها القديمة وقوض معالمها كقلعة الباستيل، ونسج محلها نظام الشوارع العريضة التي احتفظت بنتف من الحي اللاتيني الذي وضعه حظه بين تلك التقاطعات، فسلم من الإزالة. وأوسمان لعب دورا جوهريا في تغيير معالم باريس خلال أعوام (١٨٥٣-١٨٧٠) حيث شغل وزير الأشغال العمومية خلال حقبة الإمبراطور نابليون الثالث، فقد التزم هذا إضفاء طرقات واسعة (بوليفارد) تتقاطع في نقطة تدعى (بلاس ديلا إتوال/أي ساحة النجمة) التي تشكل بؤرا لتلاقي مجموعة من الشوارع ونموذجها الأهم ميدان قوس النصر وقد أمتطينها سقفه لنرى الشوارع وقد شعّ منها إثني عشر مسلكا باتجاهات شتى. وهذا النظام لم يكن يخدم الجانب التنظيمي المدني بقدر ما يحقق مآرب عسكرية وأمنية، حيث كانت تنصب المدافع في تلك الساحات لتكون مستعدة لصد هجمات المتظاهرين القادمين من أي حذب وصوب، من خلال رصدها وتوجيهه الفوهات نحوها، وذلك إبان الاضطرابات السياسية التي حدثت في فرنسا في تلك الحقبة، والتي توجّها وصول حكومة (كومونة باريس) عام ١٨٧١.

أما لندن فهي تقع على نقيض باريس من خلال تراكمها التخطيطي منذ العهد

الفكتوري. فأنا أزورها في تلك القافلة للمرة الثانية. وإذا كنت قد دخلتها في الزيارة السابقة عن طريق مطار هيثرو بعد رحلة مضية من مسقط دامت سبع ساعات وكان بانتظارنا حين وصلنا أنا والفرعي الصديق الشاعر عدنان الصائغ حيث اصطحبنا إلى منزله لنشاركه فرحة البيت ولادة حفيده الأول "آدم" ابن ولده الكبير مهند، فقد وصلت هذه المرة عن طريق القطار القادم من باريس خلال النفق من تحت مياه (المانش)، بعد أكثر من ساعتين من انطلاقه، حيث أن لكل وسيلة متعتها، ولكل صقع ومدينة خصائصها وجمالياتها. وكان الفندق الذي أقمنا به قريبا من حديقة الهايد بارك وهي من المعالم الشهيرة في لندن، لذا أمضينا وقتا طيبا، في التجوال بها، بالإضافة إلى قصر الملكة وعين لندن ومعلم ساعة البيج بين الشهير

فزائر لندن يشعر أنه يتجول في مدينة لها شخصيتها الثقافية الخاصة المختلفة عن جل مدن أوروبا، ويمكنها أن تكون بسبب تواجد العرب بها منذ توسعها في القرن التاسع عشر لتكون عاصمة للثقافة العربية، حتى يكاد ينسى العربي أحيانا إنه في عاصمة أوروبية كبرى، فلندن تحتويه بمقاهيها التي تقدم لزبائنها "الشيشة" وشوارعها الضيقة ومطاعمها العربية، ومكتباتها التي تعرض على واجهاتها صحفا عربية، وكأنها منسجمة مع عواطفنا القادمة (من وراء البحار). وربما كان ذلك سببا في أن يصفها الشاعر نزار قباني بأنها أجمل عاصمة عربية؟ ولا أدري لماذا تذكرت بغداد وأحسست حين زرتها للمرة الأولى إنني اتجول في شوارع مدينة السلام، فحتى نهر التايمز يقسم لندن إلى شطرين مثلما يفعل دجلة في بغداد بين كرخها ورصافتها، ناهيك عن لمحات خفية ومفردات تفصيلية، تطير بذوي الحس المرهف إلى عوالم الأمس في الوطن، مثل خامة الطابوق (الآجر) الأصفر الذي يشكل صلبها، أو شيوع الطراز القوطي الجديد في كثير من مبانيها، وهو بعقوده المدببة يوحى بالقرب من الطرز المعمارية الإسلامية، كونه استلّ منها منذ تأثيرات الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي. ويطأ الأمر حتى باصات الحمراء ذات الطابقين المرتبطة بطفولتنا ببغداد، حينما كانت تجوب شوارعها وتوصلنا بين حينا الطرفي، وقلب العاصمة المتباعدة "في حينها" بيد أن حركة السير (بالمقلوب) تحير ألبابنا، وتجعلنا ننتبه في كل تقاطع، كي لاتقع المفارقة ويحدث المحذور، ونجد أنفسنا في (الرونك سايد)، حينما ننظر عكس سير المركبات القادمة!

فإذا كان الشاعر ملا عبود الكرخي يرى أن بغداد خلوتها بنيت من التمر
الحستاوي وهو أرقى أنواع التمور بحسب قوله :

بغداد مبنية بتمر

فشك واكل خستاوي

فإن لندن مبنية من قطرات الندى التى تغسل وجه صباحاتها

فى لندن يتراجع شعور الزائر بالغربة لأنه أينما ذهب سيجد شارعاً يذكره
بوطنه أو مكاناً أو وجهاً أو كتاباً أو وجبة طعام أو زياً أو صحيفة، أو مفردة أو لهجة،
فهى حاضنة لكل الجنسيات والأعراق والأشكال والألوان، وكأنها (برج بابل)
المجسد، حتى لنحس ببرد لندن الرطب، وهو يلامس الوجوه والأجساد بحنو يجعله
يشعر بلذة وفى كلا الزيارتين اللتين جاءتا فى موسم الشتاء لم أجد أثراً للضباب الذي
لصق بها ليكون مقترنا بها !، وسألت المقيمين عن ذلك فاستغربوا التسمية أيضاً.

كل حجر فى لندن له قيمة وتاريخ وحكاية لذا تدون فى الواجهات والشوارع
تواريخ انشاء الأماكن، فهى مدينة تحتفى بماضيها وتقده وتنظر له بعين الزهو
والتقدير، أما مرافقها الثقافية فهى تجعلها عاصمة أبدية للثقافة كما وصف أحد
الأصدقاء. وربما يعكس الأمر العقلية (المحافظة) التى يتميز بها الإنكليز عن أقرانهم
من الأوربيين. فهم شغوفون بالمعالم حتى البسيطة منها لأسباب إعتبارية، والتى
تتضمن وجود علم عاش بها أو حدث أو تأريخ ضمن حيثياتها. ولا يمكن أن يفوت
الإنكليز أن يهتموا بجوانب تتعدى الجانب الإعتباري، لتشمل التراثى / التارىخى،
والمعماري، التى تحتاج إلى دليل يسرد حيثياتها.

وإذا كانت باريس مدينة الفن والفنانين فإن لندن مدينة الأدب والعراقة،
وكلاهما تحلقان فى فضاءات المعرفة والجمال، وتتسابقان على وقع حمى الجذب
والكسب والتحب، لذا فإن مسيريهما يسعون إلى كل ما يلفت النظر فيها ويميزها عن
مدائن الدنيا.

فرجة مسرحية

ذات يوم، سألت الصديق نديم العبدالله وهو أحد العارفين بمرافق لندن الثقافية وأحد الباحثين النشطين عن آثار التدوين الإنكليزي عن الثقافة العربية، وقد تسنى له أن يجمع ما يخص ما كتب عن العراق حصرا في الثقافتين الإنكليزية والأمريكية بين أعوام (١٨٠٠-٢٠٠٠م) على مجلد مفهرس يربو على الثمانمائة صفحة. ومن جراء ذلك الشغف والمتابعة، كنت واثقا أن أجد ضالتي عند صديقي لأسأله: هل يقام هذه الأيام بلندن مهرجان مسرحي؟

فقال: لماذا؟

أجبت: لكى تتاح لى فرصة الإطلاع عن قرب على المسرح الإنكليزي. فقال: فى لندن كل يوم مهرجان مسرحى وأردف "طبعاً بالمعنى المجازي لمفردة مهرجان" ظننته يبالغ ويمزح، فلم يسبق لى حضور عرض مسرحى فى أوروبا، التى ينسبه الغربيون من خلال "مركزيتهم"، إلى اصول تشرأب إلى المسرح اليونانى، متحاشين الخوض فيمن سبقهم من حضارات الشرق القديم، ناسبين إياه لرواد مثل أسخيلوس وسوفوكلس وأوريبيدس فى القرن السادس قبل الميلاد، ومن ثم المسرح الرومانى وقد ارتبط ذلك بالاحتفالات الدينية ويؤكد مؤرخو المسرح أنه اختفى بعد ظهور الكنيسة المسيحية وسقوط الامبراطورية الرومانية واستمر ذلك خمسة قرون ليعود فى القرون الوسطى تحت فضاء الكنيسة الكاثوليكية وفى المناسبات الدينية والفلكلورية ثم يعود مجددا فى عصر النهضة وفى ايطاليا فى القرن الخامس عشر الميلادى مستفيدا من نظريات ارسطو فى فن الشعر واستقر شكل خشبة المسرح بما يسمى اليوم بالعبة الايطالية. ويعود نشوء المسرح الانجليزى إلى عصر الملكة اليزابيث الأولى فى القرن السادس عشر الميلادى وبلغ هذا المسرح نضجه مع شكسبير الذى

مزج التراجيديا بالكوميديا والمشهد الدرامي بالرقص والغناء فصنع فرجة مسرحية من خلال أعمال خالدة تعد من كلاسيكيات المسرح الحديث .

وبعد أيام اتصل صديقي ليخبرني إنه حجز مقعدين في أحد مسارح لندن لأكون على مقربة من "الحالة المسرحية" اللندنية كما أسماها ، وأكد أن العرض يبدأ في الساعة الثالثة عصرا!!

سألته: هذه المرة الأولى التي أسمع بها بوجود عروض مسرحية في هذا الوقت ، فقد اعتدنا أن تقدم العروض المسرحية ليلا في أوقات السهرة !!

فقال : توجد هنا عروض مسرحية ليلية لكنني وجدت حجزا في هذا الوقت رغم اكتضاض المسرح في هذا الوقت لدرجة انني حاولت الحصول على مقعد لصديقنا الشاعر عدنان الصائغ فلم أجد الا في العرض الذي يعقب العرض الذي سنشاهده

وفي الوقت الذي حددناه التقينا قال لي : إن العرض الذي سنشاهده جديدا فلم يمس على بدء عرضه سوى حوالى ثلاث سنوات

سألته: وهل أن عرضا يستمر ثلاث سنوات يعد من العروض الجديدة؟

أجابني: طبعا ، ففي لندن عروض مستمرة منذ خمس وعشرين سنة وربما أكثر!! ولسوء الحظ لم أحصل على حجز لأن مشاهدة أمثال هذه العروض تحتاج إلى وقت ليس بالقصير !

توجهنا للمسرح الواقع على نهر التايمز وعلى واجهة المسرح شاهدنا اعلانا كبيرا يشبه اعلانات الأفلام السينمائية ، بل أن صور الممثلين المثبتة على الواجهة الخارجية للمسرح وتجمع الجمهور على شبك العرض رغم الحجز المسبق - كان سعر التذكرة ٤٠ باوند - وكأنني أقف ببوابة دار عرض سينمائي لا مسرح ! هذا الجمهور جعلني أقتنم باحصائية نشرها الكاتب صلاح أحمد في "إيلاف" أكدت أن عائدات المسرح بلندن "بلغ متوسطها ٧٢٠ مليون دولار منذ العام ٢٠٠٧ . وتضم لندن حوالى ٤٠ مسرحاً تجارياً ، إضافة إلى عدد كبير من المسارح غير الربحية ودور العروض المسرحية المؤقتة . ويقدر أن نحو ٢٠ مليون

شخص يؤمّن المسارح سنوياً، ١٥ مليوناً منهم من نصيب المسارح التجارية في
الويست إند"

حين عرضنا ورقة الحجز على عامل شبك التذاكر أعطانا تذكرتين فتوجهنا
للقاعة، كانت مغلقة لذا جلسنا في كافيتيريا صغيرة تقدم بها المشروبات ريثما
يفتح باب القاعة، قبل العرض بحوالى عشر دقائق فتح باب القاعة فدخلنا .
وجدنا عاملة تنظر في التذاكر وتحدد لنا أماكن الجلوس، كما يحصل عند ركوبنا
طائرة أو دخولنا دار عرض سينمائى!

كانت القاعة قديمة تشعرك بهيبة وجلال المكان الذي يعود إلى ما قبل حوالى
مائة سنة بكراسيه ومقصوراته وأجهزة الانارة المصوبة نحو الخشبة المسدلة
الستائر وديكورات القاعة التى لم يسمح لنا بتصويرها

كانت "فولدرات" العرض المسرحى تقدم للجمهور فكرة عن الممثلين
والعرض وأسماء الممثلين الذي قدموا العرض منذ بدايته وأسماء البدلاء
وعناوين الأغاني التى يتضمنها العرض وكان يحتوي على ٤٢ أغنية بواقع ٢١
أغنية لكل فصل من فصول المسرحية التى كانت ذات طابع غنائى وتعود أحداثها
إلى فترة خمسينيات وستينيات القرن الماضى وهذا ما يفسر وجود معظم
الجمهور من كبار السن

بعد مرور دقائق خفتت الأضواء وبدأ العرض فوجدت نفسى كأننى بقاعة
عرض سينمائى من حيث الشد البصري والسمعى وتفاعل الجمهور الذي ظل
لحوالى ثلاث ساعات منسجماً مع العرض مستمتعاً بتفاصيله وبأداء ممثليه حتى
إنه استجاب لطلب بطل المسرحية فى آخر عشر دقائق بمشاركة فريق المسرحية
الرقص ، وهكذا وقف الجمهور وبدأوا الرقص حتى اننى خشيت أن تسقط بنا
المنصة من كثرة اهتزازها وقدمها وسط ضحك زميلى !!

انتهى العرض، وعادت الأضواء للقاعة كانت وجوه الجمهور سعيدة،
مبتسمة مستمتعة، وفوجئت حين وجدت زحاما شديدا على باب الخروج وكأن
الجمهور خرج من مشاهدة مباراة لكرة القدم لا لعرض مسرحي، والكل يبتسم

بوجه الآخر ، ويسأله :هل استمتعت بالعرض؟ ويتمنون للجمهور المحتشد الذي كان يقف عند البوابة الخارجية منتظرا اخلاء المكان ليدخل القاعة مشاهد ممتعة ولاحظت تركيز الجميع على مفردة " المتعة " فالعرض فرجة وممتعة وجماليات سمعية وبصرية ومضمونا وهذه هى التى تصنع جمهورا .
من هذه التجربة عرفت أن المسرح اضافة إلى ما ذكرت تراكم حضاري وتقاليد وثقافة ورسالة وليس ندوات وتنظيرات وكما كبيرا من من الكراسى الفارغة !!

شعر الطبيعة

حين وصلنا كلاسكو باسكوتلاند قادمين من لندن عبر القطار ملبيين دعوة وجهتها جمعية الطلبة العمانيين بتلك الحاضرة، لإحياء أمسية شعرية في جامعة كاليدونيان Caledonian ضمن فعاليات القافلة. وكاليدونيا هو الإسم القديم لأسكتلندا، والذي يفسره البعض (من الإنكليز أنفسهم) بأنه من (كلدانيا) أو بلاد الكلدان، وهي بابل القديمة في الرافدين.

لقد كان المطر يتساقط بغزارة ليذيب طبقة خفيفة من الجليد، لكننا احتطنا لذلك، فأخبار انخفاض درجات الحرارة وتساقط الثلوج في هذه المدينة التي تعد العاصمة التجارية لاسكوتلاند كانت قد سبقت وصولنا، قلنا لعل الغد أجمل لذا قام رئيس الجمعية الصديق الشاعر إبراهيم السالمي بإبلاغ الطلبة العمانيين والعرب بمكان وزمان إقامة الأمسية ونشر ذلك عبر المواقع الإلكترونية والفيس بوك والبريد الإلكتروني والرسائل القصيرة، وتلقى تأكيدات الحضور.

وفي صباح اليوم التالي كانت السماء قد خبأت لنا مفاجأة من العيار الثقيل ! حيث بثت نشرات الأخبار تحذيرات عن هبوب رياح تبلغ سرعتها ٨٠ ميلا في الساعة وأبلغت طلاب المدارس والجامعات أنها ستغلق أبوابها ويعلق الدوام فيها إن استمرت الرياح تجنبنا للمخاطر !.

وهنا انهالت الرسائل القصيرة على هاتف السالمي تبليغه بعدم مغادرة المنزل، فتح بريده الإلكتروني فوجد رسالة من الجامعة تبليغه أنها ستغلق أبوابها من ١٢ ونصف وحتى ٩ مساء ماعدا بعض المرافق القليلة كالمرفق الخاص بمذاكرة الطلبة وهو جزء من المكتبة، وأرسلت الجامعة سيارات خاصة لإعادة الطلاب الذين ذهبوا إلى أماكن خارج الجامعة لأخذ دروس تطبيقية، وظلت نشرات الأخبار تتابع التطورات حتى أعلن أن سرعة الرياح بلغت ١٣٥ ميلا في الساعة في تلك الأثناء، رأى الصديق موسى الفرعي بتأجيل الأمسية إلى اليوم التالي فقام السالمي ببث الخبر عبر الرسائل القصيرة، حين انتهى من ذلك قلت للسالمي ندعنا من شعر الكلمات والأوراق ولنقرأ شعر الطبيعة، لنشاهد الطبيعة في واحدة من تجلياتها، ولحظات غضبها، واحتدامها، فحين تغضب الطبيعة تتحول إلى طاقة مدمرة، تجعل الإنسان يشعر بضالة كيانه إزاء

خلق الله وضعفه فيلجأ إلى خالقه متضرعا !

استحسن السالمي الفكرة، فتجولنا في المدينة، كانت الرياح تصفر في الدروب لدرجة أن فتاة جوارنا سقطت من شدتها، والسحب السوداء تتدافع لاهثة في السماء وكأن الرياح تجرها جرا إلى ساحة إعدامها، وحين ننظر إلى الأسفل نجد حاويات القمامة تتطاير والأشجار تتمايل قلت للسالمي نذكرني هذا المشهد بالأجواء المناخية في "جونو" الذي هب على سلطنة عمان منتصف العام ٢٠٠٧ م.

كرر السالمي مقطعا للشاعر عدنان الصائغ يقول به :

"وأنا وأنت على الطريق

ظلان منكسران

في الزمن الصفيق

إن جار بي زمني

اتكأت على صديقي"

لم تكن هناك ظلال ، فالغيوم التي أثقل جيوبها المطر وحبات البرد حجبت تماما ضوء الشمس حتى بدا الصباح كأنه الغروب ، ولكن الشمس كانت تغافل تلك الغيوم لتطل اطلالة خفيفة سريعة لتؤكد وجودها ثم تختفي ، كان ذلك الظهور يشبه لمع البرق أو صوت الرعد الذي حين سمعناه ظهرت علامات الدهشة على وجه السالمي وقال نادرا ما نسمع صوت الرعد هنا ، علقت :إنه احتشاد الطبيعة بكل افتتنائها وغضبها ورعدها وبرقها ومطرها !.

مررنا بنهر كلايد رأينا المياه تتلاطم والطيور ترفرف بأجنحتها بخوف وذعر وتهوى كالأوراق في المياه وكان المطر يهطل بغزارة ويبلغ المشهد ذروته حين تتساقط حبات البرد لتغطي الشوارع بطبقة بيضاء تنشر المتعة والمرح والبسمات على الوجوه الخائفة، كان البرد في ارتفاع وانخفاض بحسب حالات تساقط المطر وتوقفه حيث تشرق الشمس لدقائق ثم تغيب، وكانت الشوارع بعد كل رشة مطر تلمع من جديد ، كما لمعت في بالي ملاحظات شعرية فأسرعت لأدونها على الورق لتكون مفتتحة لأمسية اليوم التالي، فكأن الشاعر فراشة تتنقل بين الحقول لتجمع رحيق فكرة جديدة من "عسل الكلام".

مركز ثقافي وعمارة مميزة

حين وصلنا باريس، في القافلة الثالثة، زرنا مبنى معهد العالم العربي القريب من نهر السين في شارع (سان جيرمان) الشهير. وقد تأسس هذا المعلم عام ١٩٨٠ م، حيث اتفقت في البداية ١٨ دولة عربية مع فرنسا على إقامته ليكون مؤسسة تهدف إلى تطوير معرفة العالم العربي وبعث حركة أبحاث معمقة حول لغته وقيمته الثقافية والروحية، وكذا تشجيع المبادلات والتعاون بين فرنسا والعالم العربي، خاصة في ميادين العلوم والتقنيات، مساهمة بذلك في تنمية العلاقات بين العالم العربي وأوروبا. معهد العالم العربي هو مركز ثقافي جاء ثمرة تعاون بين فرنسا واثنين وعشرين بلدا عربيا. أما عمارته المميزة، والتي أمست إحدى معالم المدينة والمدارس المعمارية الإستثنائية، فقد حملت سمات (مابعد الحداثة) المعماري، من خلال محاولة إيجاد حلول حديثة لبعض السمات المناخية والشكلية للعمارة، حيث قسمت واجهته إلى مربعات زجاجية، تكون مصدر إضاءة لبهو ومكاتب مترتبة على طبقات المبنى المتعددة، وتوحي تلك الترتيبات على حضوة ذلك الشكل في العمارة والفنون الإسلامية بحسب التأويل الجمالي الغربي. والإستثناء الحاصل هاهنا هو تركيب جهاز بؤري على كل مربع زجاجي يحاكي البؤر التي تتركب على عدسات آلات التصوير (القمرات)، حيث يمكنها أن تتحكم بكمية الضوء الساقطة وراءها، وبذلك تشذب الإشعاع غير المناسب لضوء الشمس، وتتحكم بقوته لتجعله مناسبا للأجواء الداخلية، بما يوحي براحة نفسية وما لذلك من أثر بيئي في التقليل من ظاهرة البيوت الزجاجية التي تعاني منها المباني ذات الواجهات الزجاجية الكبيرة والتي تتحول إلى (فرن) إذا لم يحسن معالجتها وعزلها وإستعمال المناسب لها من الزجاج العاكس. وهكذا أمست تلك الفلسفة التصميمية إستثناء ولم تشكل قاعدة، التي يمكنها أن تعمم لاحقا، وذلك بسبب طبيعة التطبيق غير المؤلف الذي لاتستطيع دول كثيرة تحقيقه في مبانيها.

وصلنا ذلك المبنى الجميل وولجنا بهوه باحثين عن مكتبته الواقعة في الطابق الأرضي، لنجد في استقبالنا الكاتب "الطيب ولد العروسي" مرحبا، وأول سؤال له لنا كان عن الشاعر الكبير سيف الرحبي، إذ سمع إنه ضمن القافلة، فقلنا له "إن الذي

معنا هو القاص محمد بن سيف الرحبي "فضحك، وقال ظننت إن "سيفا" معكم، وبعد دقائق رنّ هاتفه، فسمعتة يقول للطرف الثاني "هناك خطأ بالإسم، سيف الرحبي ليس مع الضيوف" وحين علمت إن المتصل هو الدكتور خليل النعيمي أبلغته أن يوصل سلامي له، فطلبني، وتحدثت معه، وحين تجولنا في المكتبة لاحظنا أن الكتب العمانية غير موجودة، باستثناء أعداد قليلة من مجلة "نزوى"، فسألت العروسي "هل نستطيع أن نهدي كتباً للمكتبة عن طريق البريد؟ فسرّ كثيراً، لكنّ الفرعى قال "لماذا عبر البريد؟ سننظم قافلة خاصّة نجلب بها كتباً عمانيّة للمكتبة وسيكون ضيف شرف القافلة الشاعر الكبير سيف الرحبي"

وهكذا اتجهت القافلة إلى معهد العالم العربي بباريس لإفتتاح ركن الكتاب العماني في مكتبة المعهد الذي ضم عشرات العناوين من مختلف مجالات المعرفة والفكر والأدب، وقامت القافلة بإهداء الكتب لمكتبة المعهد بعد انتهاء المعرض حرصاً منها على وجود الكتاب العماني في هذا المرفق الثقافي الحيوي لتكون خطوة باتجاه تعزيز مكانة الابداع العماني في المرافق الثقافية العالمية، وتضمنت أمسية للشاعر الكبير سيف الرحبي قدم خلالها الدكتور خليل النعيمي شهادة عن الرحبي إلى جانب مثقفين وأدباء عرب مقيمين في باريس قراءات في تجربة الرحبي لأدباء وكتاب وأكاديميين عرب يقيمون في باريس وسلوى النعيمي وعبد اللطيف اللعبي الذي قام بترجمة نصوص منتخبة للرحبي إلى اللغة الفرنسية وقرئت للجمهور الفرنسي، وقام في نهاية الأمسية بالتوقيع على أحدث إصدار له حمل عنوان "نسور لقمان الحكيم - محاولة للصعود إلى الجبل الأخضر" الذي نشرته دار الآداب البيروتية.

وخلال ذلك جرى توقيع مذكرة تفاهم مع معهد العالم العربي جرت بموجبها شراكة المعهد على تنظيم فعاليات مشتركة، وظلّ الكتاب العماني معروضا عند مدخل معهد العالم العربي لعدة أيام قبل أن يتم تحويل الكتب إلى مكتبة المعهد الضخمة حيث تم تصنيفها وفق آليات تصنيف المكتبة.

وكم كان حزني كبيراً عندما تأخر وصول تأشيرتي، فتخلّفت عن مرافقة القافلة، لكنني بقيت على تواصل مع المشاركين، متابعا أخبارهم، وسررت كثيراً عندما كلمني الدكتور محمد العريمي بعد انتهاء أمسية الرحبي ليضعني داخل الأجواء ولأتحدث عبر الهاتف مع الدكتور خليل النعيمي.

أحفاد السندباد

بعد ذلك كانت وجهتنا نحو الشمال نحو (الأراضي المنخفضة) التي أطلقها عليهم يوليوس قيصر عند غزو بلاد الغال في ما بين ٥٧ و ٥١ قبل الميلاد ، حيث ذكر في مؤلفاته (De Bello Gallico). ثم عاد الاسم إلى الظهور في القرن السابع عشر في العديد من الأعمال الفنية والأدبية وكذلك على الصعيد السياسي ، حيث كان يُقصد به آنذاك الأقاليم الهولندية والفلمنكية معاً . وبلجيكا من الدول الجديدة نسبياً بأوروبا حيث تأسست بعد العام ١٨١٥ ، أي بعيد معركة واترلو ، التي خسر بها نابليون عرشه ، حيث كان يجب أن توضع منطقة حيادية بين هولندا وفرنسا ، وكان أن تنازلت كل منهما عن قطعة أرض لتتأسس تلك الدولة التي يتكلم أهلها لغتين شتان بينهما أحدها (الفلمنكية) ، والأخرى (الفرنسية) ، أما عاصمة البلاد (بروكسل) فتغلب عليها (الفرانكوفونية) ، وهي اليوم عاصمة الاتحاد الأوربي ، لكننا كان لابد لنا من المرور بباريس ، حسب خط رحلة الطيران العماني الذي تحلق القافلة برعايته ، سنوياً ، وكانت فرصة لزيارة معرض الفنون الإسلامية الذي أفتتح بدعم من جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ، ورقد ركن الكتاب العماني بالمزيد من الإصدارات العمانيّة ، واقامة معرض للفنانة عالية الفارسيّة ، وأمسية شعرية لذا توجّهت القافلة الخامسة إلى باريس وبروكسل ، فأقيم المعرض بقاعة معهد العالم العربي بحضور شخصيات سياسية ودبلوماسية عربية مقيمة في باريس ومنظمات الأمم المتحدة في العاصمة الفرنسية ومندوبى وسائل الإعلام العربية والأجنبية ، وضمّ ٣٢ لوحة عبّرت عن التراث العماني بأسلوب تجريدي مستخدمة بعض الأقمشة وأوراق معادة التصنيع .

وانتقلت القافلة بعد ذلك إلى بروكسل ، حيث أقامت معرضاً آخر للفنانة عالية الفارسية التي جلبت إنتباه زائريها بتوظيفها تقنيات التشكيل الحديث في إضفاء روح الشرق وسردياته من خلال حبكة لوحاتها المشعة بألوان البيئة العمانية . ثم جرى عرض أوبريت "أحفاد السندباد" وهو فكرة وسيناريو كاتب السطور وإخراج سعيد عامر ، وتطرق الأوبريت إلى دور المثقف في الحراك الإجتماعي النهوضي منطلقاً من جذور هذا الدور في التاريخ العماني في الأماكن التي مرّ بها العمانيون في تطوافهم عبر الزمان والمكان ، على أجنحة "السندباد" الصحاري وذلك عبر مشاهد

درامية وتعبير حركي أدته الفنانة نادية عقيل وعبد الحكيم الصالحى وتخللت ذلك قراءات شعرية ونصوصا سرديّة، لمحمد بن سيف الرحبي، وحسن المطروشى، وإبراهيم السالمى، وكاتب السطور بمصاحبة عزف حى على العود للعازف يعقوب الحراصى، وإنشاد زهران الهنائى ومحاضرة للدكتور عبيد الشقصى حول العلاقات العمانية الأوروبيّة.

وجرت لقاءات بشخصيات ثقافية وفنية عربية تقيم بباريس للاستفادة من خبرتها والتنسيق معها لاستضافتها فى الصالون الثقافى. وأجرت إذاعتا مونت كارلو الفرنسية والمنار البلجيكية حوارات مع عدد من المشاركين.

ويوم سفرنا دعانا سعادة الشيخ الدكتور غازي الرواس سفير السلطنة فى الإتحاد الأوروبى -سابقا- لحفل أقيم بمقر السفارة العمانية ببروكسل، حيث أثنى على الفعاليات التى قدمت ضمن احتفالات السلطنة بالعيد الوطنى الثانى والأربعين وتمنى سعادته أن تستمر مثل هذه الفعاليات فى بث رسالتها إلى العالم والتعريف بالمنجز الفكرى والثقافى العمانى، وأشاد بمعرض الفنانة عالية الفارسى وبقية الفعاليات التى يقف أوبريت "أحفاد السندباد" فى مقدمتها والرسالة التى أراد توصيلها، وهى تعريف الآخر بالحراك الثقافى فى عهد النهضة من خلال فكرة السندباد الذى طاف البلاد شرقها وغربها منطلقاً من جذور هذا الدور فى التاريخ العمانى فى الأماكن التى مرّ بها العُمانيون فى تطوافهم عبر الزمان والمكان، ثمّ قام بتسليم المشاركين دروعاً بدءاً من رئيس الوفد الدكتور عبيد الشقصى وضيف الشرف د. محمد بن مبارك العريمى رئيس الجمعية العمانية للكتاب والأدباء والمشاركين: موسى الفرعى ومحمد بن سيف الرحبي وحسن المطروشى وعالية الفارسى وإبراهيم السالمى وعاصم الشيدى وهيام الجابري ويعقوب الحراصى ومحمد الفارسى وسعيد عامر ونادية عقيل وعبد الحكيم الصالحى وطاهر الحراصى وزهران الهنائى وسليمان الفرعى وماجد الندابي وباسة الحجري وكاتب السطور.

لقاء يتجدد مع عاصمة النور

بمجرد تحديد وجهة القافلة السادسة، وكانت باريس، نشطت الاتصالات مع أصدقائنا من الأدباء العرب المقيمين في باريس، والعاملين في السفارة العمانيّة بباريس، وبدأت بعض النصوص تأخذ طريقها للترجمة إلى اللغة الفرنسيّة، وجرى الاستقرار على تقديم عرض يستلهم حياة الشاعر الفرنسي الكبير رامبو، هو "ضجّة في منزل باردي"، وحين جرى افتتاح معرض "عمان والبحر" بالمتحف البحري الفرنسي في أكتوبر ٢٠١٣م برعاية مشتركة من حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم - حفظه الله ورعاه - وفخامة الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند، وهو من تنظم وزارة التراث والثقافة بالتعاون مع وزارة الخارجية والجمهورية الفرنسية، كان الفرعي من ضمن المدعوين، وهناك أجرى اتصالاته، وعندما عاد كانت الأنظار تتجه مجددا نحو باريس، لتقيم القافلة فعاليّاتها بحضور عدد كثيف من شخصيات سياسية ودبلوماسية عربية مقيمة في باريس ومنظمات الأمم المتحدة في العاصمة الفرنسية ومندوبي وسائل الإعلام العربية والأجنبية.

ولم تمر أسابيع حتى كان كلّ شيء جاهز للإطلاق إلى باريس.

عندما أشارت ساعة "برج الصخرة" إلى السابعة مساء قلنا لاتزال أمامنا عدّة ساعات قبل أن نتّجه صوب "برج إيفل" العلامة البارزة في باريس، في تلك الليلة اتجهنا صوب دار الأوبرا السلطانية مسقط، لمشاهدة أوبرا "زواج فيجارو" رائعة موتسارت، وكانت تلك آخر فقرة في برنامج اجتماع اتحاد الكتاب والأدباء العرب الذي أقامته الجمعية العمانيّة للكتاب والأدباء، فكانت مسك ختام للفعاليات المصاحبة للإجتماع، ومقدّمة لزيارة باريس التي تبقى مركزا ثقافيّا، بمتاحفها، وساحاتها، ومعارضها، ومكتباتها، ومسارحها.

حين وصلنا العاصمة الفرنسية كانت درجة الحرارة ٨ مئوية، وقبل مغادرتنا مطار "شارل ديغول" ارتدينا الملابس الثقيلة تحصنًا من البرد ونزلاته، حين علم الدكتور عبدالرضا علي إنني بباريس بعث لي من لندن رسالة قصيرة مرددا قول الشاعر العربي:

تمتّع من شميم عرار نجد

فما بعد العشيّة من عرار

أجبت "عرار نجد لا ينبت في البرد، فهو يستمد عطره من شمس الصحراء الالهة" أجاب "خذ من باريس الجميلة أي شيء حتى لو كان رشحا فهي عاصمة النور والجمال!"

ضحكت وأجبت "ومازلنا في بداية الزيارة، وبرنامجا مزدحم ولا مكان للشرح مع ذلك، لم نخش غزوات البرد، ففضلنا أن تصافح أقدامنا شوارع باريس عبر التجوال فيها، بعد أن وضعنا حقائبنا في غرفنا بفندق "المريديان" القريب من (ساحة النجمة) التي تحوي (قوس النصر) النابليوني، والواقع على رأس طريق الشانزلزيه في ميدان شارل ديغول، الذي يعود العمل على إنشائه إلى قبل مشروع أوسمان الذي أشرنا إليه، وذلك في بواكير القرن التاسع عشر، وكان هدف نابليون بونابرت من ذلك ليكون رمزا يخلد انتصارات جيوش إمبراطوريته. إلا أن إنجازاه الفعلي تم عام ١٨٣٦ زمن لوي فيليب. وحين صعدنا سطحه الذي يقع على ارتفاع ٤٩.٥٠ عبر السلم برفقة الصديقين د. محمد المهري والشاعر محمد قرطاس وجدنا أنفسنا نطلّ على باريس التي بدت دائريّة كقطع جبن على شكل مثلثات حيث الشوارع تضع رؤوسها على خد قوس النصر الذي يشكّل مركز الدائرة التي تتفرع منها اثنتا عشرة (جادة)، بما يوحي بأنها نجمة، لذا سميت ساحة النجمة (بلاس ديلا إتوال) وفعلا حمل شكل النجمة سابقا بعد أن صممه المهندس شالغران على هضبة (شايو)، وجعله مركز نجمة تنطلق منها خمس جادات رئيسية في حينها، ثم أضيفت إليها فيما بعد، أثناء إعادة تخطيط العاصمة على يد البارون أوسمان سبع جادات كبرى أخرى وذلك عام (١٨٥٤).

حين نزلنا من قوس النصر سلكنا شارع الشانزلزيه لاحظنا تجهيزات المحلات، وهي تستعدّ لاستقبال أعياد الميلاد، لتتحوّل واجهاتها إلى بساتين تعرض باقات الزهور والهدايا والأضواء المعلقة على أطراف شجيرات الميلاد.

منذ بدايته، حتى ساحة الكونكورد التي تزينها مسلة مصرية ضخمة أهداها الخديوي إسماعيل للويس فيليب سنة ١٨٦١ حيث قام الفرنسيون بالكشف عن أسرار الحضارة المصرية القديمة وقد صمم الكونكورد جيمس موت (James Mott) سنة ١٧٥٥. وقد أعدم فيه لويس السادس عشر في ٢١ يناير ١٧٩٣ فتغيّر اسم الميدان من "ميدان لويس الخامس عشر" إلى ميدان الثورة

الذي يزور شوارع باريس خلال موسم الخريف يرى أن ألوان الطبيعة قد تنحّت جانبا مخلفة الساحة للون الأصفر، فأوراق الخريف تغطي أرصفة عاصمة النور والفن والجمال وفي كل دقيقة تتساقط مئات الأوراق التي انتهت دورة حياتها مودّعة الغصون التي شاهدتها في زيارتي السابقة، وكانت في عزّ الصيف حينذاك كانت تلك الأوراق تفيض خضرة فتقف متباهية بخضرتها وشبابها الغض وأطيافها العاشقة ونسائمه التي تططب على أكتافها فتزدان القفا وجمالا، لكنها اليوم ليست كما كانت بالأمس، قال صديقي موسى الفرعي: انه الخريف!

شعرت بإنقباض، فموسم الخريف يثير في أرواحنا الكثير من الالام، كبشر يعرفون أن الحياة ليست سوى حلقة مهما طالّت فان لها نهاية لامفر من ادراكها كحقيقة

لذا فكلّمة الخريف لها تداعياتها المثيرة للحزن لنا لأنها تجعلنا نقف بمواجهة حقيقة أن للحياة دورة وهذه الدورة هي الأخيرة، وقد اعتدنا على كره هذه المواجهة لانغماسنا بالحياة ولذتها الباهرة، وما سقوط ورقة من أعلى شجرة بكل ما يحمله هذا المشهد من الم هو تجسيد لحقيقة الموت الكبرى وترميز لها

واصلنا سيرنا أنا والفرعي وسط جثث الأوراق التي كانت تتساقط مثل المطر، حاولت أن أتجاوز أمر هذه البيانات الصفراء التي صار منظرها بكل ما تحمله من مدلولات رمزية يعصر روعي بالتشاغل بالبرد، لذيذ هو البرد في هذا الموسم، إنه يجعل الانسان ينسحب إلى الداخل أكثر مما يكون في الخارج وكلما كان داخله ثريا

كان يشعر باللذة لذا فإن الكتاب والشعراء وأنا منهم يميلون للكتابة أكثر خلال هذا الموسم وكأن بذور الأفكار التي زرعها الربيع في أرواحنا وكبرت خلال المواسم السابقة وأزهرت وحبلت بالثمار وحن موسم قطافها ، فتنزل على الورق لتفتح صفحة حياة جديدة قوامها الكلمات .

تساءلت مع نفسي :لو كنت قد زرت باريس قبل عشرين سنة هل كنت سأشغل كل هذا الوقت بتساقط أوراق ميتة؟

لا أظن ، ربما كنت سأمد بصري حيث الفاتنات اللواتي يملأن شارع الشانزليه بنسبة تجعلهن أضعاف أضعاف الرجال ، بما يؤكد أن أعاصير الحرب العالمية الثانية التي جرفت الرجال إلى المعسكرات ومن ثم إلى الموت لاتزال قائمة !

كان عمال النظافة يحاولون أن يدفنوا الأوراق في الحاويات لكن ما أن يواروا جثمان ورقة حتى يحمل الهواء إلى الأرضة عشرات غيرها ففي أعالي الأشجار ماتزال هناك أوراق تصر على مقاومة رياح الخريف حتى تستنفذ آخر رمق لها في حياتها القصيرة ، لذا فالأوراق المتساقطة على الأرضة تبقى أضعاف أضعاف التي يلقي عليها عمال النظافة القبض لتتحول إلى سماد ، أحاول أن أشرح ببصري عنها ، مثلما أفعل حين أرى مشهدا داميا ، متجاهلا ما يحدث لها من فناء ، أستحضر بيتا قديما حفظته منذ كان شعر رأسي أسود :

لما رأت شيبتي عم مفرقي

قالت غبار يا خليلي ما أرى

منظر الشوارع وهي ترتدي ثوب أوراق ميتة لم يمنع المحلات التي تتزين لاستقبال أعياد الميلاد من فتح أبوابها للزبائن والسياح فهي كما يبدو قد الفت هذا المنظر وصار جزءا من مشهد له جمالياته الا وهو مشهد الخريف، فكما للربيع جمالياته للخريف كذلك حين توصلت إلى هذه النتيجة صرت أكتشف شيئا فشيئا هذه الجماليات وأستمتع بها فلكل مرحلة من مراحل الحياة جمالياتها التي تجعل الحياة أقوى من الموت في كل صورها المشرقة .

السفن العمانية قرب "إيفل"

واصلنا المسير حتى بلغنا "برج إيفل" الذي صممه المهندس غوستاف إيفل ومعاونوه حيث يبلغ ارتفاعه ٣٢٤ متراً، ويعود تاريخه إلى عام ١٨٨٩ حين أفتتح بمناسبة المعرض الدولي لباريس، إذ يقع في أقصى الشمال الغربي لحديقة شامب-دي-مارس، بالقرب من نهر السين، وأصبح لاحقاً الموقع السياحي الأول في باريس، معلناً عن ثورة في العمارة جوهراً إنشائي محض يوظف خامه الحديد في إضفاء أشكال شتى ومنها القصر البلوري (كريستال بالاس) في هايدبارك بلندن عام ١٨٥١م، ثم تصاعد تداوله ليصبح متعدد الطوابق ويطا عنان السماء، من خلال الأبراج التي بدأت في شيكاغو عام ١٨٨٨، وكانت لاتتعدى الثمان طوابق بهيكل معدني، لكنها تصاعدت تباعاً لتصبح (ناطحات سحب) لايقدر على حملها إلا هيكل من الحديد الصلب، الذي غير المفاهيم وبدل الأشكال بعدما أمست مقاطعة الصغيرة سمة لعصر معماري جديد، كان برج إيفل إحدى إرهاباتها "الإستعراضية". وهذا ما دفع هتلر أن يقترح تفكيك ذلك الصرح أسوة بكل غاز مغتنم، ليستعمل حديده في مصاهر تم آلتة الحربية المتوقدة. لكن يبدو أنه انشغل عن الأمر، وحفظ لنا ذلك المعلم منتصباً شامخاً، والذي أمسى رمز المدينة دون منازع.

من هناك وعند أعتاب كتلة الحديد المقرنصة تلك قادنا "موسى الفرعي" إلى المتحف البحري الوطني الفرنسي حين يقام معرض "عمان والبحر" قطعنا تذاكر الدخول وتجوّلنا في أقسام المعرض الذي ضمّ العديد من المخطوطات القديمة ومجسمات للسفن العمانية القديمة ودورها في التواصل الحضاري بين عمان وبعض دول آسيا وأوروبا المدعمة بالشروحات والخرائط إضافة إلى بعض الأدوات التي تستخدم خلال الرحلات البحرية وشاهدنا فيلماً وثائقياً يتحدث عن رحلة البحار الفرنسي جان بيير مادامي إلى مسقط على متن طائفة ركاب مقتنيا أثر جده الأدميرال فرانسوا إدموند باريس الذي كان قد زار السلطنة قبل حوالي مائتي عام

في رحلة بحرية ووثق مشاهداته في كتاب تحدّث به عن صناعة السفن العمانية من خلال الرسوم التي أعيد وفقها بناء السفن العمانية التقليدية في العهد الحديث يرى الكاتب عاصم الشيدي في مدوّنة كتبها بعد زيارته المعرض إنه لم يزر معرضاً جامداً نقلت إليه مقتنيات عمانية فقط بل زار معرضاً حياً مبنياً على فكرة فتازية مثيرة.. وكأنها نص روائي يدفع بك دفعا لمتابعة تفاصيله.. وبعد عبور بوابة الدخول إلى القسم العماني في المعرض تطالعك لوحة زيتية للفنان تشارلز فوكراي مرسومة على القماش لمدينة مسقط.. والفنان كان قد عمل رساماً لدى البحرية الفرنسية وقد استوحى الكثير من أعماله خلال زيارته لمسقط بين عامي ١٩١٧ و١٩٢١ وتجسد اللوحة التعاملات التجارية النشطة بين التجار والسكان المحليين في مسقط أوائل القرن العشرين. ويبدو ما يشبه القلاع في خلفية مشهد بحارة ينزلون بضائعهم بعد رحلة سفر طويلة. وعلى اليسار من مدخل المعرض لوحة بتفاصيلها الدقيقة عن محصول اللبان رفيق البحر لدى العمانيين وسفيره إلى ما وراء البحار.

وهناك في زاوية أخرى أخشاب البليد التي ترمز إلى ميناء البليد في مرحلة الألف الثاني بعد الميلاد وهي أخشاب مستخدمة في بناء ثلاث سفن "طرق تشبيك" خلال أواسط الفترة الإسلامية. وهي طريقة موجودة حتى الآن "ويقول في الختام" ليس من السهل أن يحتزل التاريخ البحري العماني في معرض واحد، إنه تاريخ موغل في القدم وممتد في التفاصيل ولكن الاختيارات الدقيقة التي ضمّها المعرض تقدم صورة مهمة ومشرقة عن التاريخ البحري العماني"

ضجة في باريس

قبل ليلة من عرض "ضجة في منزل باردي" دعا المخرج سعيد عامر المشاركين لحضور "البروفا" الأخيرة للعرض ومناقشته، وهذا ما حصل، تذكّرت خلال العرض مراحل كتابتي للنص، وكيف انبثقت الفكرة عندما زرت بصحبة الدكتور حاتم الصكر والشاعر فضل خلف جبر عام ١٩٩٦ م البيت الذي أقام به الشاعر الفرنسي "رامبو" في عدن عام ١٨٨٢ م، وكان قد تحوّل إلى مركز ثقافي فرنسي، وذات يوم خلال قراءتي لكتابه "فصل في الجحيم" استحضرت زيارتي تلك، وبدأت أشتغل على النص، الذي لم ير الطريق إلى العرض، وجاء المخرج السوري سعيد عامر لبيت فيه الحياة، وليعرضه على مسرح باريس، لنعيد انتاج رامبو للفرنسيين، وهذا ما أثار دهشتهم، حيث رافقت العرض ترجمة فورية،

بعد انتهاء "البروفا" وجّهنا ملاحظات بسيطة ركّز معظمها على المشهد الأخير، حيث أعاد من خلاله المشهد الأول مما تسبّب في رأيي هبوط ايقاع العرض، وهو الأمر الذي راعاه عامر عند العرض، مستثمرا وجود مرايا كبيرة على الحائط وستائر تغطّي تلك المرايا فعمد إلى إنهاء العرض بفتح السائر، وكأنّ الجميع يقف بمواجهة ذاته.

بعد ذلك طلب الفرعي من الصديق الشاعر عبدالله العريمي ادارة حوار يجمع الدكتور محمد العريمي رئيس الجمعية العمانية للكتاب والأدباء ليتحدّث عن تجربته مع القوافل السابقة، والدكتور محمد المهري للحديث عن اللغة المهرية والكاتب عبدالله العليان للحديث عن الاستشراق ودوره في خدمة الأدب العربي، فكانت جلسة ممتعة أثريت بالنقاشات.

الليلة الكبيرة

ليس ببعيد عن قوس النصر يقع مبنى الأكاديمية الدبلوماسية الذي تأسست عام ١٩٢٦، وهو مبنى يمتاز بسماته المعمارية الجميلة المميزة، حيث احتضن الأمسية الرئيسية للقافلة التي حضرها معالي الدكتور أحمد بن محمد الفطيسي وزير النقل والاتصالات وسعادة خليل الخنجي رئيس مجلس إدارة غرفة تجارة وصناعة عمان وسعادة الشيخ حميد بن علي المعني سفير السلطنة المعتمد لدى جمهورية فرنسا، وجمع كبير من الكتاب والأدباء والمثقفين العرب المقيمين في باريس وجمع كبير من المثقفين الفرنسيين.

بدأت تلك الأمسية بافتتاح معرض الصور الفوتوغرافية لمعالي محمد الزبير والمصورين أسامة الخروصي وإسماعيل الفرعي وتنوعت الصور بين رصد معالم الطبيعة العمانية بصحاريها ووحاتها وجبالها وشواطئها، كما أنها رصدت معالم النهضة الحديثة، وبعد جولة في أروقة المعرض انتقل الجمهور إلى القاعة الرئيسية حيث بدأ الحفل بكلمة سعادة الشيخ حميد بن علي المعني سفير السلطنة بباريس التي قرأها باللغة الفرنسية مؤكدا حرص السلطنة على الحوار الثقافي مع الآخر من خلال تنظيم مثل هذه الفعاليات الثقافية مضيفا أن قافلة أثير الثقافية تتكامل مع نفس المشهد الذي تحرص السلطنة عليه، مشيرا أن النهضة العمانية التي نراها اليوم هي نتاج سياسة عريقة تراكمت عبر العصور.

ورحب الإعلامي موسى الفرعي رئيس تحرير صحيفة "أثير" الإلكترونية بالحضور موجه الشكر لسعادة السفير والعاملين في السفارة العمانية بباريس على الجهود التي بذلوها لانجاح القافلة وقال "إن أثير اختارت باريس لتنظيم فعاليات معرفتها بالمكانة العالية التي توليها هذه المدينة للثقافة والفنون وهو ما جعلها مركزا ثقافيا مهما في أوروبا والعالم. وأشار الفرعي في كلمته إلى أن القافلة الثقافية تأتي في

سياق حرص مجموعة من الشباب العماني على إظهار المكانة الحضارية التي تحتلها عمان واطاحة الفرصة للشباب العماني أن يبرزوا إبداعاتهم خروجاً من السياق المحلي إلى سياق يعطي مساحة أوسع وثقة أكبر.. مشيراً أن الإنسان العماني على مر المراحل التاريخية كان مبادراً إلى إقامة حوار يفضي إلى شراكة ثقافية واستفادة من منجزات الإنسانية والبناء عليها.

بعدها ألقى الدكتور محمد العريمي رئيس جمعية الكتاب والأدباء كلمة أكد فيها أن المجتمع "لم يغفل قيمة الأدب في بناء النفس الإنسانية، ولذلك اندفع المفكرون الأوائل إلى المناداة بحكم الفلاسفة كونهم هم الأقدر على الفهم والإدراك وحسن الإدارة".

رحلة جديدة

وقال العريمي في كلمته "بالرغم من كل التحولات والتطورات التي شهدتها عالمنا المعاصر، تلك التي أضعفت من دور الفكر والأدب والثقافة، واستندت في حراكها على القوة الاقتصادية والعسكرية، أي أنها ذهبت إلى الماديات؛ ضاربة بالأدب عرض الحائط، بالرغم من كل ذلك؛ فإن الطبيعة البشرية والفطرة الإنسانية لم تسكن ولم تهدأ، حيث بدأت تعيد للفكر والثقافة ألقهما، وقدرتهما على صناعة التاريخ، ومن هذا المنطلق بدأنا في عمان برحلة جديدة نحو تعظيم القيم والأخلاق والمثل، ومما ساعدنا على ذلك الدعم غير المحدود الذي تتلقاه باستمرار من جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ووجودنا هنا في مدينة النور باريس، وما تم قبله في الكثير من دول العالم لهو أحد مؤشرات هذا الاهتمام السامي لجلالته"

شعر وموسيقى

وحلّقت قصائد الشعراء محمد قرطاس وعبدالله العريمي وهشام الصقري
في أمسية ترجمت خلالها نصوصهم إلى اللغة الفرنسية وانسابت على نغمات
عود يعقوب الحراصي،

يقول الشاعر محمد قرطاس في إحدى قصائده :

أهاجر..؟ أم تهاجر فيك روعي

فلا سفر يقر ولا مقام

كأن بهذه الأضلاع نخلا

يطير من مفارقها الحمام

والقى الشاعر هشام الصقري نصوصا منها "حقائب بلا أسماء التي يقول فيها :

مسافر حاملاً في قلبه قلقه

ما ارتاد أحلامه إلا ارتدى أرقه

يظلّ يحسب في الأفلاك أنجمه

حقائب تحمل الأسماء مثقلة

أفشته تنهيدة في ليلة قلقه

ما باح عن خطوة إلا دعته خطي

تكاد تخنق من أوجاعها عنقه

والقى الشاعر عبدالله العريمي عدة نصوص منها قوله :

لا أريد من العمر غير الذي يتنور

بالشعر، والحب، والأغنيات

تسلل بحر إلى صوتي الطفل

أورثني طبعه والصفات

وها أنني المتناقض والمتحول
الغامض الواضح
الطريق إلى البيت خوف الطفولة من درج العمر
ووصف سريع لصيد الكواكب"

ثم قدم الدكتور محمد المهري محاضرة حول اللغة المهرية عرّف فيها باللغة والجهود التي بذلت في دراستها سواء من قبل العرب أو الغرب. وحاول المهري رسم خارطة جغرافية عن نطاق تواجد اللغة المهرية في الوقت الحالي وأعداد المتحدثين بها. كما قدم نماذج من أدب هذه اللغة من خلال عرض نماذج شعرية سجلها بأصوات أصحابها من كبار السن. كما استعرض بعض النصوص السردية عن أدبيات اللغة من خلال بعض الأساطير المروية عبرها. وأثارت المحاضرة الفرنسيين كثيرا الذين بدأوا السؤال عن اللغة المهرية وبعض التفاصيل عنها وعن بدايات نشأتها.

"رامبو" على الخشبة

وأختتمت فعاليات الأمسية بعرض "ضجة في منزل باردي" للمخرج سعيد عامر وأداء عبدالحكيم الصالحي ونادية عقيل، و"منزل باردي" هو بيت قديم في كريتر بعدن، كان وكالة لبيع الحبوب، سكنه الشاعر الفرنسي "رامبو" أثناء إقامته في عدن لعدة أعوام بين عامي ١٨٨٠ - ١٨٩١ والمسرحية تستند إلى مرحلة في حياة "رامبو" وعلاقته بـ"فرلين" الذي هجر زوجته وسافر معه، ثم أطلق عليه النار فأصابه في كفه فعاد إلى باريس ليكتب "فصل في الجحيم" وارتكز النص على شخصيتين محملتين بمشاعر الحب والانتقام بعرض يسعى إلى طرح أسئلة الحب والجمال من خلال استحضار تجربة الشاعر الفرنسي رامبو خلال إقامته في عدن في تلك الفترة. وكان عدد من المشاركين في القافلة قد زاروا برفقة الملحق الثقافي بالسفارة الفرنسية بمسقط، وزارة الثقافة الفرنسية والتقوا بعدد من المعنيين بالعلاقات الثقافية، وأكد الجانب الفرنسي، خلال اللقاء، على أهمية إقامة حوار ثقافي مشترك بين الجانبين العماني والفرنسي، على مستوى مؤسسات المجتمع المدني.

متاحف ومواقع سياحية

فى الأيام التالية واصلت القافلة سيرها متّجهة إلى العديد من المواقع السياحية فزارت القافلة (متحف اللوفر Musée du Louvre) الواقع على الضفة الشمالية لنهر السين فى باريس، وهو قصر قديم لملوك فرنسا حتى الثوره الفرنسيه ١٧٨٩. و كان عبارة عن قلعة بناها فيليب أوغوست عام 1190، تحاشيا للمفاجآت المقلقة التى تخشى الهجوم على المدينة أثناء فترات غيابه الطويلة فى الحملات الصليبية، وأخذت القلعة اسم المكان الذي شُيّدت عليه، لتتحول لاحقا إلى قصر ملكى عرف باسم قصر اللوفر قطنه ملوك فرنسا وكان آخر من اتخذه مقرا رسميا لويس الرابع عشر الذي غادره إلى قصر فرساي العام ١٦٧٢ ليكون مقر الحكم الجديد تاركا اللوفر. وفى عام ١٦٩٢ شغل المبنى أكاديميتان للتمثيل والنحت والرسم والتى افتتحت أولى صالوناتها العام ١٦٩٩. وقد ظلت تشغل المبنى طوال ١٠٠ عام. وخلال الثورة الفرنسية أعلنت الجمعية الوطنية أن اللوفر ينبغي أن يكون متحفا قوميا لتعرض فيه روائع الأمة. ليفتتح المتحف فى ١٠ أغسطس/ آب ١٧٩٣. ويعد اللوفر أكبر متحف وطنى فى فرنسا ومن أكثر المتاحف التى يرتادها الزوار فى العالم. ويعد اليوم أكبر صالة عرض للفن عالميا وبه العديد من الآثار.

وقد خضع المبنى على طراز النهضة فى عهد الرئيس الفرنسى الراحل فرنسوا ميثيران إلى عمليات إصلاح وتوسعة كبيرة. كان أهمها إضفاء قبو (سرداب) يوسع من بهو الدخول والولوج إلى الأجنحة المختلفة التى تختص كل منها بفن أو حضارة ومنها العراقية والمصرية واليونانية والنهضة.. الخ. حيث كلف الرئيس الفرنسى عام ١٩٨٤، المهندس المعماري الصينى/ الأمريكى آي إم بيى، والذي سبق ان صمم متحف ميهو فى اليابان، وبرج البنك الملكى (بلاس فيل ماري) فى مونتريال، والمعرض الوطنى للفنون فى واشنطن العاصمة، وأهمها لدينا المتحف الإسلامى فى الدوحة الذي يعد من أجل المعالم فى الخليج. حيث صمم المعمار الحبكة الوظيفية

للقبو والإتصال مع الباحة الخارجية من خلال السلم اللولبي المميز، مع إضفاء مناوور زجاجية على شكل أهرام كبيرة وصغيرة متصالية وتحفظ لباحة المتحف محوريّتها الأولى. وشيدت تلك الأهرام من هيكل معدني مغشى بشرائح الزجاج، ويصل ارتفاعه إلى ٢٠,٦ متر؛ وقاعدته مربعة وواجهته ٣٥ متراً. ويتكون من ٦٠٣ معين معين و٧٠ قطعة زجاجية. وهكذا كان ولوجنا من تحت ذلك الهرم الزجاجي المبهر والمضفي للمسمة مرهفة لم تمنع الشفافية التي يجب أن يحتفظ بها المكان، وبذلك عد من أنجح التوسعات المتحفية.

كما تعرّف أعضاء القافلة على منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة أو ما يعرف اختصاراً باليونسكو (UNESCO)، وهي وكالة متخصصة تتبع منظمة الأمم المتحدة تأسست عام ١٩٤٥. ترأسها حالياً البلغارية إيرينا بوكوفا بعد فوزها بالانتخابات التي أجريت في العام ٢٠٠٩ وتهدف المنظمة إلى المساهمة بإحلال السلام والأمن عن طريق رفع مستوى التعاون بين دول العالم في مجالات التربية والتعليم والثقافة لإحلال الاحترام العالمي للعدالة ولسيادة القانون ولحقوق الإنسان ومبادئ الحرية الأساسية.. التقت القافلة كذلك بالمخرج الفرنسي ليونيل تراديف وهو مخرج سينمائي ووثائقي له العديد من الأفلام الوثائقية التي أنتجها عن السلطنة.

متحف فنية

كما زرنا متحف "فكتور هيغو" المقام في البيت الذي سكنه الشاعر والكاتب الفرنسي الكبير من عام ١٨٣٢ إلى عام ١٨٤٨، على مدى ستة عشر عاماً، وهي أطول مدة قضاها في بيت واحد وأصبح متحفاً لأشياءه الخاصة في ٣٠ حزيران سنة ١٩٠٣، في المتحف شاهدنا لوحة إعدام كوازيمودو بطل رواية هيغو "أحدب نوتردام" التي تدور حول شاب أحدب مشوّه يعيش في كنيسة نوتردام منعزلاً يربيه الدوم كلود فرولو القس في الكنيسة ويدربه ليكون قارع الأجراس ولكنه وقع في حب إزميرالدا العجربة حين التقاها في احتفال سنوي يسمى "احتفال المهرجين" حيث استطاع أن يحميها من الذين يلاحقونها ولكن القاضي كلود فروللو أضرم النيران في

باريس واتهم كوازيمودو بذلك وعندما وقع من أعلى البرج أنقذه "فيبس" فحمله الناس على الأكتاف بعدما اكتشفوا الجمال القابع خلف شكله المشوه وما إلى ذلك من أحداث وخطوط جانبية مثيرة في الرواية التي كتبها هيجو (١٨٠٢م - ١٨٨٥) في الحقبة الرومانسية بمقتبل حياته وكان في التاسعة والعشرين ويقال إنه استلهم شخصية كوازيمودو من الأحذب الذي كان يوقظه هو وسائر الطلبة صباح كل يوم خلال دراسته بإسبانيا، وقد وصف هيجو هذه الصورة بروايته بقوله "اتكأ كوازيمودو على الحاجز وراح ينظر إلى ساحة جريف مكان الإعدام نظر إلى الساحة، ونظر إلى العجرية، ثم نظر إلى المشنقة. كان صامتا لا يتحرك كما لو أصيب بصاعقة، وكانت دموعه تسقط سخية في صمت عميق من تلك العين التي لم تكن بعد قد ذرفت دمعة واحدة. نظر كوازيمودو إلى العجرية، ثم إلى الكاهن، وتنهد بحزن عميق ثم قال باكيا: "لقد فقدت كل ما كنت أحبه"

لذا كان لزاما علينا زيارة "كنيسة نوتردام" وكنت قد رأيتها من بعد من أعلى طابق في بناية معهد العالم العربي حيث أشار صديقي مازن عبدالعزيز النجدي قائلا: "يمكننا أن نرى الكنيسة بشكل أوضح لو صعدنا أعلى بناية المعهد، فحشنا الخطي، وبالفعل رأينا مشهدا ساحرا!"

فنهر السين كان يفتح صدره لأشعة الشمس التي تحتفي بين حين وآخر تحت الغيوم مسترخيا بهدوء تقطعه السفن السياحية وسط حركة الحياة والجمال والبنيات المرسومة بدقة، قال صديقي: على الضفة اليسرى للنهر يقع الحي اللاتيني وجامعة السوربون وحدائق لوكسمبرج ويمكنك أن ترى جانبا من برج إيفل وهناك شارع الشانزليزيه وقوس النصر أما كاتدرائية نوتردام فكما ترى هي تقع في جزيرة المدينة في نهر السين وهناك أيضا متحف اللوفر، ولأن النهر قاسما مشتركا أعظم بين كل تلك المعالم طلبت منه النزول والسير على الضفة النهر الذي رأيت على ضفته اليسرى صناديق مقفلة قال صديقي: إنها تحتوي على كتب قديمة تعرض للبيع مساء وكان عميد الأدب العربي طه حسين يشتري كتبه منها

سرنا في الشارع الممتد على الضفة السين. هناك شاهدت سفنا راسية تحولت إلى مطاعم تقدم وجباتها للسياح وكانت الحركة تضح بالحياة

حين عبرنا الجسر شاهدا شاطئاً يسترخي على رماله عشاق الشمس قال صديقي بهذا الشاطئ، صنعته بلدية باريس حيث جلبت كميات من الرمال وقامت بتزيينه بالمظلات ووضعت الألعاب الترفيهية لاتاحة الفرصة للتمتع بأوقات طيبة على ضفاف السين لمن لم يتمكن من مغادرة باريس خلال عطلة الصيف

وبعد أمتار من ذلك المشهد الجميل وجدنا أنفسنا نقف على جانب كاتدرائية نوتردام، وتعني (سيدتنا) وسط جزيرة تدعى (ايل دو سيتي) أو جزيرة المدينة. وهي تعد من أقدم المعالم المعمارية القوطية الباقية ويمثل تحفة لفن ساد منذ القرن الحادي عشر وتساعد خلال القرن الثاني عشر واستمر حتى بداية القرن السادس عشر، ثم أحيي في القرن التاسع عشر (القوطي الجديد) ويرجع معظم منظري العمارة بأنه مستل ومقتبس العمائر الإسلامية في الأندلس وتحديدًا من طليطلة في نهاية القرن العاشر الميلادي. وتعد تلك (الأبرشية) من المعالم التاريخية في فرنسا، وجاء ذكرها كمكان رئيسي للأحداث في رواية (أحدب نوتردام) للكاتب فيكتور هوجو. وتقوم كاتدرائية نوتردام في مكان بناء أول كنيسة مسيحية في باريس، وهي "بازيليك القديس استيفان" على الطراز الرومانسكي (الشبيه بالروماني)، والتي حلت بدورها على أنقاض معبد جوبيتير (المشتري) الوثني الغالو-روماني. والكنيسة كان قد بناها أول مرة الملك شيلدبرت الأول ملك الفرنجة عام ٥٢٨م، وأصبحت كاتدرائية مدينة باريس في القرن العاشر، حيث سمت قبتها إلى ٣٣ م. وهنا حري بالرصد بان للمكان إملاءات قدسية تجعل منه بؤرة روحية دائمة، تتحول فيها الأزمنة وطبيعة العقائد والمقدسات دون تغيير في الأمكنة.

كانت الناس تتقاطر إلى تلك البؤرة الروحية، وتسنى لنا أخيراً أن نصل المكان المقصود، حيث قال لي صديقي: كل الأماكن في باريس قبله يقصدها السياح وكما قال سعدي يوسف روايته "مثلث الدائرة" محظوظ ذاك الذي يضيع في باريس" قلت له:

فعلاً محظوظ الذي يضيع في شوارع باريس
وأسلمنا أقدامنا للطرقات

قصور ملكية

وتسنى لنا في حيثيات برنامجنا المركز والمفيد أن نزور "قصر فرساي" وهو أهم القصور الملكية في فرنسا ويقع في منطقة فيرساي التي تبعد ٢٥ كيلومترا غرب وسط مدينة باريس، وكما جاء في الموسوعة الحرّة "تم بناؤه بعد صدور أمر لويس الثالث عشر العام ١٦٢٤ ببناء منزل صغير للصيد على تل قريب من قرية فيرساي الصغيرة كون الأدغال القريبة وافرة الصيد، وفي العام ١٦٣٢ أمر بتوسيع المنزل، وفي فترة حكم لويس الرابع عشر شيد القصر محل المنزل في فيرساي من ١٦٨٢. وانتقل الملك لويس الرابع عشر في هذا العام من باريس إلى القصر، وظل القصر مقر الإقامة الملكية حتى اضطرت الأسرة الحاكمة إلى العودة إلى العاصمة في العام ١٧٨٩. رغم هذا ظل قصر فيرساي مركزا للسلطة في العهد القديم بفرنسا. كما صار رمزا للحكم الملكي المطلق من قبل لويس الرابع عشر المسمى بملك الشمس. وبعد ١٠٠ عام سكنه ملك آخر وهو الملك لويس السادس عشر وزوجته الملكة ماري انطوانيت اللذان أجبرتهما الثورة الفرنسية في العام ١٧٨٩ على مغادرة القصر، ومن ثم تم إعدامهما بالمقصلة أو "سكين الجيلاتين"

وتجولوا في غرفه التي تعكس حالة الثراء التي كان يعيشها ملوك فرنسا ومحتوياته التي تعدّ من التحف الفنيّة النادرة التي جعلت من القصر متحفا، وركن الكتاب العماني في مكتبة معهد العالم العربي حيث أضافوا كتبا جديدة للركن الذي أنشئ قبل عامين بقافلة ثقافيّة خصصت لهذا الغرض واقامة أمسية للشاعر الكبير سيف الرحبي .

المقاهي الباريسية

كذلك زرنا مؤسسات ثقافية وإعلامية أخرى بباريس منها كنيسة القلب المقدّس وحي الرسامين الذي بات أحد أهم المعالم السياحية فيها، هناك التقيت بالفنان

العراقي المغترب صلاح جياذ ، وقد كان منهمكا برسم الوجوه وأحلامه التي شاخت على الورق حيث ترك أدواته ودعاني لشرب فنجان قهوة باريسية في مقهى قريب . وحري قبل الولوج إلى عوالم المقاهي ، لابد من التعريف بهذا الفنان الذي سمعنا به ونحن صغار وهو يرسم للأطفال في مجلة (مجلتي) . وهذا الفنان يتسم بالتواصل مع التطور الذي تقلبت به الأمور ، وماشى روح العصر . وعلى العموم فإن أعماله الواقعية كانت أقل شهرة من حداثاته ، وربما حد من شهرته على مستوى الثقافة العربية خروجه المبكر من العراق عام ١٩٧٦ ومنذئذ لم يستطع مغادرة ساحة المونمارت التي دخلها كرسام بورتريت حتى ساعة لقائه . وعلى العموم فان كثيرا من فنانني تلك الحقبة استخدموا الرموز وأخضعوها لكي تناسب أغراضهم الفنية في محاولات جاهدة لإظهار براعتهم أو لكي يبدو لنا في الأقل ثقافتهم ووعيهم الفني عن طريق تبني الرموز التاريخية الواردة من ثقافتهم الأولى ، ويظهر أنهم جميعا قد قبلوها خطوة ضرورية يجب أن يخطوها كل فنان يريد المساهمة في التطور الجماعي المستمر للفن بيد أن صلاح جياذ كان حريصا على ادراك القوة التي تنطوي عليها تلك الرموز عند التطبيق في طروحاته المعاصرة ، فقد استخدم مصادر مختلفة في تناول الرموز العراقية في جانبيها التاريخي والانساني وتمكن من توحيد هذه الدلالات مع تقنياته التجريبية في تنوع كبير لأشكال التعبير الرمزي ، وهذه الرمزية أعطت انطبعا بوجود نزعة البحث والتجديد لديه بسبب وعيه وثقافته المتقدمة التي تداعت من محك الغرب والتشاقف . وهو يقيم تشكيلاته في اتجاهات الفن منذ ستينيات وسبعينيات القرن الماضي حيث تتسم رموزه مثل كل من تأهل فنيا حينئذ بسمة التهويل والمبالغة الذي رافق مرحلة الافكار الثورية والكفاح المسلح وما عكسته الاتجاهات السياسية على الفن في تلك الفترة المذكورة . ويمكن القول أن الحس الجمالي الوارد في اعمال صلاح جياذ قد تكون أفضل من غيره من ذلك الرعيل وما بعده من وجهة النظر المعرفية .

وهكذا كان حوارنا ذا شجون عن الفن والتغيرات التي لحقت به منذئذ ، حتى وطأت أقدامنا مكانا يمكن أن نؤمه ونكمل تلك الحوارات "الإنطباعية" . فالجلوس على ناصية المقاهي الباريسية إحدى سمات الحياة اليومية في تلك المدينة ، حيث نجد في

كل ركن مقهى يحفل بالرواد، وحين حدّدنا موعدا مع الروائي الجزائري واسيني الأعرج اختار أن نلتقي في مقهى، فالتقينا به في جلسة تحدّث خلالها عن أهميّة مثل هذه الفعاليّات في تعريف المثقفين الفرنسيين بالمنجز الإبداعي العربي وتطرق في حديثه إلى المشهد الروائي في الوطن العربي والدور المطلوب من أجل أن تواكب الرواية العربية المشهد السردي في العالم وخاصة في فرنسا، كما دارت حوارات صورتها "أثير" لتعرض لاحقا في صحتها الإلكترونية مع الروائي السوري خليل النعيمي والكاتبة سلوى النعيمي والمخرج د. سعدي يونس والشاعر اللبناني عيسى مخلوف والإعلامي سعد المسعودي والكاتب طيب ولد العروسي ود. الهواري غزالي والشاعرة ريم السيد وعدد من الأكاديميين العرب الذين يدرّسون في جامعة السوربون أحد أهم الجامعات في العالم ورمز معرفي من رموز فرنسا.

في إحدى تلك الجولات حدّثني الكاتب عبدالله العليّان عن محافظة الفرنسيين على تراثهم المعماري، وإرثهم التاريخي والديني المتمثل في الكنائس والقصور القديمة، على الرغم من كثرة حديثهم عن الحداثة والتقدم وعصر الأنوار، فقال "مشكلتنا كمسلمين لم نعتن بتراثنا بصورة كبيرة، والكثير من الآثار الإسلامية العظيمة ضاعت أو نهبت، والسبب إهمالنا لهذا التراث، وقد وجدت في متحف اللوفر بباريس الكثير من الآثار الإسلامية، وخصصوا لها جناحا خاصا تحت مسمى (قسم الحضارة الإسلامية)، ووجدنا مئات من كل الشعوب، يدخل لهذا القسم لمعرفة مآثر الحضارة الإسلامية، وقيمتها العلمية والجمالية، لكن الذي لفت نظري في باريس في هذا البلد العلماني (لايكي) المتشدد في علمانيته، مساحة حرية العبادة للمسلم، وعندما كنا في زيارة قصر فرساي في إحدى ضواحي باريس، سمعنا صوت الأذان في هذه المدينة الجميلة. والحقيقة التي لا يمكن تغافلها بأن المسلمين هنا في فرنسا ربما يتجاوز عددهم الخمسة ملايين، ممن يحمل الجنسية الفرنسية، وهناك من المسلمين حوالي بنفوس القدر الذين لا يحملون الجنسية الفرنسية، وغالبيتهم من شمال إفريقيا، وهذا يعني أن جالية كبيرة من المسلمين في فرنسا يحتاط لها القوم ويولوهم أهمية، بيد أن المهم الحفاظ على وجودهم وعدم إتاحة الفرصة للمتطرفين والذين يساهمون في أعمال وممارسات، تضر وجودهم المضطرد، وتجعل الدولة الفرنسية تشدد كثيرا عليهم،

وهذا ليس في صالح الإسلام، باعتبار الإسلام، أكثر الأديان انتشارا في أوروبا"، وهذه الظاهرة لم تكن قد حصلت في كل مراحل التاريخ، ولكنها اليوم حقيقة لامناص منها.

وأضاف العليان "عند زيارتي مع بعض الزملاء إلى مسجد باريس الكبير، وجدنا مئات الزوار من بعض المسلمين من ماليزيا واندونيسيا وبعض الزائرين من دول مختلفة. والمسجد يعد اليوم من تراث المدينة ورموزها المعمارية، وهو أكبر مساجد فرنسا وأقدمها، حيث أسس لبنائه الجزائري قدور بن غبريت، وشيّد من قبل مهاجرين جزائريين كانوا قد مكثوا بعد مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى مع الجيش الفرنسي. ودثّن في يوم ١٥ يوليو/ تموز ١٩٢٦ من طرف الرئيس الفرنسي آنذاك دومارغ وحضر لهذه المناسبة السلطان المغربي المولى يوسف بن الحسن الأوّل. وطراز المسجد هو المغربي الأندلسي، بباحاته المعهودة وأروقته المطوقة لها والمقامة على عمد رخامي يحاكي قصر الحمراء. وقد وظفت كل أرض المشروع رغم صعوبة التصميم في ان يكون متعدد الوظائف وإحدى أجمل معالم المدينة.

لقد كان انطباعي عن فرنسا أنها دولة علمانية متشددة، وربما مغالية في تشددها مع دول أوروبية أخرى، لكن يبدو أنها بعد دخولها الاتحاد الأوروبي خففت كثيرا من ذلك الغلو، أو تراجعت عن كثير من بعض تشددها تجاه ماتسميه الخطر على الثقافة الفرنسية والعلمانية، باعتبار أن العلمنة الفرنسية تاريخيا أساس قيام الجمهورية الفرنسية، خاصة الثورة الفرنسية اتسمت بالعنف والصراع الكبير، وانتهت بما انتهت إليه الآن، لكن يبدو أنها بدأت تقترب من أمريكا وبريطانيا في الانفتاح على الآخر المختلف"

هذا الانفتاح لمسناه ونحن نتجول في الشانزلزيه حيث تجتمع الكثير من ثقافات العالم من مختلف الأعراق والأجناس لرسم مشهد جمالي لن ترى شبيها له.

نافذة للحركات الثورية العالمية

في "الحيّ اللاتيني" الذي قرأنا عنه في رواية الدكتور سهيل إدريس شجوننا من السرد والذاكرة الباقية وما علق من قراءات تتعلق بتهاجن الثقافة الفرنسية والعربية. لقد كان لنا موعد مع المكان لنشتم في أزقته عبق باريس الماكث من القرون الوسطى. يبدو لنا من الوهلة الأولى أن هذا الحي ليس جزءاً من باريس فقط، إنه جزء من الذاكرة الثقافية العالمية. حيث تعود تسميته إلى القرون الوسطى، حينما كانت اللاتينية هي اللغة الحصرية لجامعات الحي ورواده، وظلت كذلك حتى أواخر القرن الثامن عشر، وهي اللغة التي أقحمها الرومان على تلك البلاد، وهي مقترنة باسم السهل (لات) أي العريض التي تقع عليه العاصمة روما. لقد اقتحم الرومان شمال نهر السين عام ٥٢ قبل الميلاد، وشقوا أول طريق لهم هنا، وهي التي تُعرف اليوم باسم شارع سان جاك (القديس يعقوب). وفي القرن الثاني عشر، تأسست جامعة باريس في كلواتر نوتردام، وبدأ صيت المنطقة الجامعي، وتأثير من حكايا مدارس قرطبة وبغداد أسس روبرت دو سوربون معهداً خاصاً بالفقراء منتصف ذلك القرن، والذي أصبح لاحقاً أشهر جامعة حقوقية وأدبية في العالم، حيث تحولت السوربون إلى عامل جاذب للطلاب في فرنسا والعالم، لتصبح ماكنة سياسية وفكرية ضخمة، وطأت حتى الثقافة العربية برعيل واسع ممن أنتفخ زهوا بأنه (صربوني).

ويقع الحي اللاتيني بين الدائرتين الخامسة والسادسة في باريس، التي تحوي معاهد العلم والمكتبات والجامعات الكثيرة. ويكاد يكون صيت العاصمة الفرنسية الثقافي مسجل باسم هذا الحي حصراً. فقد مر من هنا دانتي، وكارل ماركس، وجون بول سارتر، وأوغست كانط. ومن أصحابنا مر من هنا سهيل إدريس، وطه حسين، ومصطفى جواد ونجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم. ومعالم الحي اللاتيني مزروعة في كل الزوايا، جادة السان ميشال الأشهر، بنافورتها الجميلة الفريدة، مبنى الباثيون المنمق على شكل صورة لتاريخ دولة ومؤسسة علمية، متحف العصور الوسطى وفيه

سيرة أوروبا الحضارية، ومباني المعاهد العتيقة والحديثة، ومسرح الأوديون ثم كاتباريه البارادي لاتين، والكنايس المنحوتة والمركبة كفسيفساء فني من كنيسة سان سوليبس إلى الكوردوليبه وفخامة سانت اتيان دو مون .. حتى تفاصيل الحي وشرايينه الداخلية، شوارع تأخذك بدهشة الطرق المرصوفة إلى تذوق كل شيء، والبحث عن كل شيء .

كان الحي اللاتيني في خمسينيات وستينيات القرن الماضي نافذة للحركات الثورية التي عمت ثقافياً واجتماعياً وأخلاقياً أوروبا كلها ومن ثم العالم ويعود الفضل إلى وجود السوربون إلى جانب ٢٥ جامعة ومعهد ومدرسة أخرى، التي شكلت التربة الخصبة لتساعد الأحداث، حينما تحول الحي اللاتيني إلى كتلة اجتماعية من نوع ثقافي نموذجي. وحينها كانت المقاهي والبارات الصغيرة تُحصى بالمئات، وتجمع فيها يومياً الكتاب والصحافيين والقادة الطلابيين لتدور حلقات النقاش في عز الحس الثوري العالمي المتوقع في ذلك الحين، والذي ترجم في مايو/ أيار عام ١٩٦٨ بانتفاضة شبابية غيرت مسار التفكير السائد، وقادها رواد الفلسفة الأوروبية في حينها، حيث انطلقت من هذا الحي، وغيّرت وجه فرنسا الكاثوليكي اجتماعياً، وهزت الديغولية سياسياً.. ولو أن الثورة وأصحابها أحبط مسعاهم لاحقاً.

بيد أن الأمر تغير اليوم فلم نلمس كل تلك السمعة المبالغ بها، ولم نسمع حراكاً أو نرى نقاشاً حاداً ولا شاعراً مفوها يلقي قصيدة عند ناصية شارع، فالحي اللاتيني اليوم منهك في زمن العولمة، لقد سقطت المعالم الاعتبارية للمكان، رغم أن الزوار جاءوا من كل مكان، لا للبحث عن حب ضائع بحث عنه دوراس، بل عن مشهد سياحي أو وجبة سريعة، كل شيء يشير إلى حضارة ضائعة، أو ثقافة مخبأة في بضعة مقاه في الشوارع الجانبية صمدت أمام زحف المطاعم الأنيقة التي تلائم أصناف العابرين الجدد، سياحاً مأخوذين بدهشة الأبنية القديمة المزخرفة بدقة متذوق فني، أو الطلاب. ومقاهي الحي اللاتيني ينقصها شيء من ملامح السان جيرمان القديم المؤرخ في رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس، والحانات الصغيرة تنقرض شيئاً فشيئاً ومعها العجز المسلحون بأوراقهم ونقاشاتهم السياسية والفكرية، مكتبات الجادة الشهيرة الصغيرة التي يديرها متذوقون لمقتنياتها، اختفت وأفسحت مجالاً لمكتبات أكثر

زحمة في موادها، وأشدّ تشدّداً في نزعتها التجارية، حتى سيكارة جان بول سارتر التي كان يعرفها مقهى لي دو ماغو، أصبحت من الممنوعات في ظل قانون حظر التدخين في المطاعم والمقاهي..

كتبوا كثيراً عن الحي اللاتيني، حينما كان رسولاً للفكر التقدمي في أواسط القرن العشرين، وموعزا بالصدمات الثقافية ولاسيما ممن قدم من الشرق. لقد استقبل هذا الربع خلال قرون الرسامين والشعراء والمفكرين والمنظرين واسترسل بلقائهم واستأنس حتى اليوم، وما زال يشرع أبواب جامعاته وما بقي من مقاهيه لمن بقي من أولئك أو اختار التجريب والتنقيب، رغم أن الكثير من أوجه الحي اللاتيني قد تبدلت. لقد تغيرت باريس وحتى العالم، لكن ذاكرة الأماكن والأرصفت والجسور وشوارع التظاهرات ومقاهي المناظرات أمينة على الحدث، بعدما ساهمت رواية الراحل إدريس، في ترسيخ صورة المكان في الأذهان. لقد ذهب ابن بيروت إلى باريس لإكمال دراسته، ثم عاد لبيروت ليؤدي دوراً مهماً في الإرتقاء بالحياة الثقافية. من المؤسف أن أبناء الجيل الجديد قد لا يدركون أن هذا الكتاب كان قد وهبهم فرصة التعرف دون عناء بهذا الحي الباريسي الشهير ودوره ومقاهيه ومثقفيه وأروقة جامعة السوربون، لكن الأمور اليوم لا تحتمل ذلك الأفق الواسع، ويبدو أن ماضي الحي لا يمت الصلة لحاضره، في حاضرة باريس المنوعة التضاريس.

لقد احتفت بنا تلك الحاضرة ايما احتفاء حينما تسنى للفيف من الشعراء العمانيين إحياء أمسية شعرية، في "فضاء لاماتان"

فضاء ثقافي

رغم إنني، على مدى سنوات عديدة من علاقتي بالكتابة الشعرية، قدّمت قراءات شعرية في أماكن عديدة لكن الأمسية الشعرية التي اشتركت بها مع الأصدقاء الشعراء إبراهيم السالمى وعبدالله العريبي ومحمد قراطس والتي أقيمت في فضاء لامارتان بباريس، الثقافية لها نكهة خاصة، تجعلها تحتلّ مساحة في القلب، والذاكرة، هذه النكهة لها أسباب عديدة من أهمها: طبيعة المكان الذي أقيمت به، فهو من الأماكن القديمة في عاصمة النور بالحى اللاتيني المعروف بمتاحفه وجامعته، وكاليريهاته، ومناخاته التي رسمها الكاتب سهيل ادريس في روايته "الحى اللاتيني"، و"فضاء لامارتان" من النوع الذي يجعلك تحسّ بجلاله، وجماله، رغم أخاديد الزمن المحفورة في كلّ زاوية من زواياه، التي هي بمثابة تواقيع عصور من المجد كفيلة بأن تمنحه هالة من القداسة، تجبرك على الخشوع، وأنت تشمّ، رائحة تلك العصور ممزوجة برطوبة الماضي، حيث السقف المبنى من الخشب، والمستند على أعمدة من الخشب الصلب، وهي شبيهة بالبيوت العمانية القديمة المسقفة بجذوع النخيل، هذه الأماكن، بالضرورة، تكون ضيّقة، بل إن الضيق من سماتها، لكنني، بعد لحظات، شعرت باتساعه، لأن البعد الزمني لعراقته يضاف إليه لينفتح على فضاءات أكثر رحابة، زادت من تلك الرحابة لوحات فنيّة، زانت جدرانه، فأضافت للمكان، لمسات ملوّنة.

وليس هذا كلّ ما في المكان، إذ يوجد سلّم حديدي حلزوني ضيّق جدا يوصل سالكه إلى قبو مؤثث بالرطوبة، حيث تتراص أحجار جدرانه فوق بعضها، البعض، بما يجعلك للوهلة الأولى تشعر بالاختناق، ولا غرابة، فالقبو كان سجنا للكتاب والشعراء الذين يتمرّدون على سياقات المجتمع التقليدية ويتجاوزون الخطوط الحمراء في عصور خلت مرّت بها فرنسا، أيّام هيمنة الكنيسة على مجريات الأمور، في أوربا قاطبة، واليوم تحوّل إلى فضاء ينطق بالحرية والجمال.

قبل يومين من موعد الأمسية خيّرنا بين مكانين لاقامتها: القاعة أو القبو، فاخترنا، بدون تردّد الثاني !!

وكان علينا أن "نسجن" الجمهور معنا، لأكثر من ساعتين، امتزج بها الشعر بالموسيقى، وهو جمهور نخبوي اعتاد حضور الفعاليات التي يقيمها "فضاء لامارتان" الذي هو فرع لفضاء أوسع يشمل دار نشر عريقة، ومن أبرز الحضور كان الشاعر والفيلسوف الفرنسي الكبير إيف لوتورنير الذي قام بمراجعة ترجمة النصوص التي قرئت بالفرنسية بل والوقوف أمام الجمهور، بكل تواضع، لقراءة نص قام بترجمته للشاعر محمد قرطاس، إلى جانب النصوص التي ترجمتها جلييلة والقتها فاطمة غمياح ومن بين حضور الأمسية كانت الشاعرة الفرنسية نيكول باريار والشاعرة لوييزة ناظور والكاتب الطيب ولد العروسي والإعلامي محمد دحو، ويحيى الشيخ، والهوارى غزالى الشاعر والأستاذ الجامعى الذي حضر الأمسية مع بعض طلبته من الفرنسيين الدارسين للغة العربية وآدابها، فاقترح ترجمة نصوص أخرى، واصدارها فى كتاب، وتنظيم أيام دراسية، يكون لها طابع نقدي، وأكاديمي، وفى مقدمة الحضور كان الروائى د. خليل النعيمي وزوجته الكاتبة سلوى النعيمي، والمخرج والممثل د. سعدي يونس، وعدد كبير من المثقفين العرب والفرنسيين، ولم يكن الشعر وحيدا فى القبو مع الجمهور، فقد صاحب القراءات عزف على العود ليعقوب الحراسى، فأضفى على المكان شيئا من روح الشرق وسحره، حيث غمر الحضور فى الأمسية، التي جعلتني أسترجع الكثير من الأماكن التراثية الشبيهة فى بلداننا، لكننا لا نستثمرها فى إقامة الأماسى الشعرية، واللقاءات الأدبية! ولم نلتفت لها، وسط صخب ولع العديد من شعرائنا ومثقفينا بالقاعات الكبيرة التي غالبا ماتكون خالية من الجمهور!

إنّ الشعر الحقيقى لا يحب البهرجة، بل يحتنق حين تمدّ حبالها على رقبتة، بينما ينتعش فى الأماكن العريقة، التي تنطق حجارتها بحكايات الأسلاف كما نطق قبو "فضاء لامارتان" بالحيّ اللاتيني بباريس.

صور أخيرة لـ "إيفل"

واستضافتنا إذاعة الشرق إلى جانب الشاعرين عبدالله العريمي ومحمد قرطاس للحديث عن المشهد الثقافي في السلطنة خلال جلسة أدارتها المذبةعة زهور زعزع وهناك التقينا بالصدیق الشاعر اللبناني عيسى مخلوف مدیر الإذاعة.

ولم تكن إذاعة الشرق الوحيدة التي قامت بتغطية أنشطة القافلة، فقد غطتها الصحافة الفرنسية، وقامت القناة الفرنسية الخامسة بتسجيل فقرات الحفل الذي أقيم بالأكاديمية الفرنسية وأجراء حوارات مع عدد من المشاركين، واستضافنا الإعلامي سعد المسعودي في راديو "مونت كارلو" الدولي الإعلامي موسى الفرعي للحديث عن القافلة والنشاط الثقافي العماني بحوار بثّ على الهواء وقامت بنقله إذاعة "الوصال" وفي اليوم التالي اصطحبني المسعودي في جولة بشارع الشانزلزيه أختتمت بمقر مكتب قناة "العربية" الذي تطلّ شرفة أستوديو البث المباشر به على "برج إيفل" فالتقطت صوراً أخيرة للبرج قبل أن أعود للفندق لأحمل حقيبتي متجهاً إلى المطار لتكون تلك الإطالة قبلة وداع للبرج بعد ختام القافلة التي جاءت السادسة لتحمل إضافة تتمثل في كسب الجمهور الفرنسي من خلال قراءة النصوص المترجمة وما صاحب الكلمات التي القيت والعرض المسرحي من ترجمة فورية، فساهمت في استقطاب الجمهور الفرنسي، فتفاعل معها، لذا أعلن ربّان القافلة "موسى الفرعي" أن القافلة السابعة ستكون وجهتها باريس أيضاً.

قالوا في القوافل

سفراء الكلمة

لقد سعدت كثيرا بما شاهدته وسمعته خلال الأمسية التي قدمها نخبة من الشعراء والمسرحيين والفنانين التشكيليين الشباب في باريس، حيث يعدون سفراء الكلمة والثقافة بما تحمله من معنى، فالشكر لكل المساهمين في إنجاح هذه الأمسية الذين أبحروا بالسفينة الثقافية العمانية منذ عام ٢٠٠٩ لتجوب كل المدن ولا سيما وهي حط رحالها في باريس معرفة ومقدمة الثقافة والقامات والهامات العمانية، نسأل الله التوفيق لهذه القافلة.

معالي د. أحمد بن ناصر المحرزي

وزير السياحة

ليس أمامي سوى أن أثني على الفعاليات التي قدمت ضمن احتفالات السلطنة بالعيد الوطني الثاني والأربعين متمنيا أن تستمر مثل هذه الفعاليات في بث رسالتها إلى العالم والتعريف بالمنجز الفكري والثقافي العماني

سعادة الشيخ الدكتور غازي الرواس

سفير السلطنة في الاتحاد الأوروبي سابقا

سررت بقاء هذه المجموعة الخيرة من أبناء عُمان الذين يمثلون مختلف التخصصات الثقافية الفنية والمسرحية والإعلامية، وسعادتني غامرة للقائي الثاني بهم في لندن، وما قاموا به في العام الماضي كان شيئا مشرفا وقد أثلج صدورنا وأفرحنا كثيرا ولله الحمد، وزيارتهم هذه السنة لها معنى خاص، كونها تتزامن احتفالات البلاد بالعيد الوطني الحادي والأربعين المجيد، وكذلك مرور خمسة أعوام على بداية

الموقع الإلكتروني الهام سبلة عُمان ، الذي يعد بداية لتأسيس ثقافة حوارية وإعلامية مختلفة في السلطنة وهي تجربة لها ما لها وعليها ما عليها ، التي يجب أن تستمر وهي بدورها فتحت أفقا للتواصل الإعلامي الإلكتروني ، وها هي اليوم تقدم على خطوة جيدة وهامة وبناءة ، وهي الترويج للثقافة العمانية العالم أجمع وبالذات في البلدان الغربية ، عن طريق قافلة ثقافية تحتوي هذا العدد الكبير ، والمهم من مثقفي عمان ، وفنانيها وإعلاميها له معاني كبيرة يعكس مدى ما حصل في هذا البلد العظيم من تقدم ورقي وتحضر ، ينقلون تجربة هذا البلد الذين اعتزوا به إلى الشعوب والثقافات الأخرى ، ومن المعروف أن المساهمة العمانية في الشأن الدولي والثقافة والحضارة الدولية ليس حديثة وإنما هي منذ بدايات التاريخ ، فلهم جزيلا الشكر متمنيا لهم طيب الإقامة والنجاح في قافلتهم .

سعادة عبد العزيز الهنائي

سفير السلطنة المعتمد لدى المملكة المتحدة

نشاط ثقافي يخدم المجتمع

أقول نحن وأشير إلى "القافلة" في رحلتها الثقافية الثالثة، وهي تسير في مشروعاتها الذي يخرجها من كونها منتدى (افتراضي) إلى مؤسسة (على أرض الواقع) أخذت على نفسها مهمة التخلي عن عباءتها التقليدية حيث المنتديات التي تقول وفق ما ينبغي لتقدم ما يفترض من نشاط ثقافي يخدم المجتمع بشكل مباشر، وقد فتح نوافذ الحرية على مصراعيها (عبر المنتديات الافتراضية) فلا أقل من أن يسير بموازاة ذلك اجتهاد يضيف إلى مؤسسات المجتمع بما يدعم رسالة الحوار (الأسمى) خاصة عبر ثقافة ووعي وحضور.

سارت القافلة بنهج يختلف عن المتعارف عليه، فلم تكن العناية بتقديم أمسيات ومحاضرات وندوات قدر ما تعرف المشاركون على عاصمتين لهما وزنهما في ميزان السياسة الأوروبية والحضارة المتشابكة والمتشابهة والمتواصلة عبر مسارات ومساقات لها فاعليتها في سائر عواصم الدنيا، لندن وباريس، والتجوال فيهما والارتحال بينهما له متعة دافئة رغم الطقس البارد ..

محمد بن سيف الرحبي

أصوات شعرية قيمة

القراءات التي كانت تتخللها تصفيقات الجمهور وآهات بعض الحاضرين ومن ضمنهم الأستاذ محمد دحو الإعلامي في قناة الجزيرة الذي كان سعيدا مثل الطفل وهو يتماوج مع بعض الإلقاءات، ولقد أكد لي بأنه لم يحضر أمسية مشابهة منذ زمن طويل. أما الشاعرة الفرنسية نيكول باريار فعبرت لي عن تكامل الشعراء في طرح قضايا متفرقة وحساسة، وعن سرورها بحضور هذه الأمسية لأنها اكتشفت من خلالها أصواتا شعرية قيمة في هذا الفضاء

الطيب ولد العروسي

اكتشاف مواهب

أمسية موفقة استطعنا من خلالها اكتشاف مواهب رقيقة الإحساس تملك مشروعا إبداعيا هائلا وكم يكون رائعا أن تترجم إلى اللغة الفرنسية، واقتراح لذلك تنظيم أيام دراسية يكون لها طابع نقدي وأكاديمي في آن، وتعقبا على كلمة الأستاذ موسى فرعي حينما شرح الهدف من إقامة هذه اللقاءات، أقول له إن هذه المبادرات يجب أن تتواصل وأن تصبح مواعيد راسخة تشجع على توفير إبداعات الشعراء والكتاب العمانيين في رفوف المكتبات الفرنسية إما بنسخها العربية أو مترجمة إلى لغة فولتير

د. الهواري غزالي

أحيي هذه القافلة

عرفت العمانيين بطبيعتهم ونقائهم وقلت في عُمان بأنني فوجئت بالمسرح العماني وما وصل إليه من تطور يرتقي بالذائقة المسرحية، وما قدمه الشباب هو أكبر دليل على نضج التجربة وقدرتهم في التعامل مع كافة النصوص على الرغم إن العرض لم تتوفر له الحاضنة الحقيقية من حيث خشبة المسرح والإضاءة والديكور لكنهم هم

جنود وأرادوا أن يقولوا شيئاً وقالوه وبجداره، حيث يعتبر هذا العرض الثاني من نصوصي وكان ناجحاً جداً، ووصلوا إلى الروح، وبأدائهم أبكوني، أما العرض الثاني فكان في الكويت بعنوان الجرافات لا تعرف الحزن وقد اقترب المخرج كثيراً من نصي، ووحدها سلطنة عُمان قدمت لي ٣ نصوص مسرحية منها رثاء الفجر وجسدي مدن وخرائط، وكما تعلمون بأنني صاحب أول موقع الكتروني عربي وهو مسرحيون، وأنا من دعاة التدوين الالكتروني ولذلك فأنا أحيي هذه القافلة، وأشد على أيدي المشاركين فيها وأتمنى أن ألقاكم هنا أو في عمان بإذن الله.

الكاتب العراقي الراحل قاسم مطرود

امتداد ثقافي واجتماعي

تعد هذه الأمسية هي الأولى للمنتدى التي تجمع أشقاء لهم باع وحضارة وثقافة على مر العصور، وكما هو معروف بأن المنتدى العراقي ومنذ حوالي ٢٠ سنة وهو ينظم الأمسيات الثقافية والاجتماعية كونه حلقة وصل مع المثقفين والأدباء العراقيين المتواجدين في فرنسا وخارجها، لذا فإن هذه الأمسية هي امتداد ثقافي واجتماعي فيما بيننا وبين الشعب العماني فالجميع استمتع بما قدمه الأدباء والشعراء العمانيين حيث تعرفنا على نخبة من الشباب كنا نجهل معرفتهم سابقاً، وهذه هي ثروة ثقافية كبيرة بالنسبة لنا حيث استمعنا وتذوقنا الشعر بشقيه الفصيح والنبط، وكذلك النثر في قراءات لبعض الكتاب ومنها القصص القصيرة التي أفصحت عن مكنون كبير يوجد في سلطنة عُمان، وكذلك المسرحية التي قدمها الفنان عبد الحكيم الصالح الذي أبدع في تجسيده للمسرحية، كما نتمنى أن يتواصل التعاون فيما بيننا، وتعد مبادرة سبلة عمان مبادرة كبيرة في إقامة مثل هذه القافلة، وهناك جهود رائعة يبذلها أعضاء القافلة، نتمنيا لهم مزيداً من النجاحات.

صباح عباس

سكرتير المنتدى العراقي في فرنسا

سفيرة الثقافة العمانية

أعتقد أن مهمة جميع المشاركين في القافلة ليست بالسهلة.. نظرا لأن القافلة أصبحت لها صيتها ومكاتها ومتبعوها ومنتظروها بشغف في البلاد التي تحط فيها.. وتعد خطوة رائدة على مستوى المواقع الافتراضية ليس في السلطنة وحسب ولكن عربيا وعالميا كما شهد بذلك جميع من يعرف عن القافلة.. وهذا إن دل فإنه يدل على أن موقع سبلة عمان أصبح اليوم أكثر من مجرد موقع الكتروني.. فقد خرج من إطار الشبكة العنكبوتية ليغدو عالما واقعيا يؤثر في المجتمع مثلما يتأثر به.. بل أصبح مكملا لدور المؤسسات الرسمية ولا نبالغ في شيء إن قلنا إنه في كثير من الأحيان ينافسها ويتفوق عليها، ومن الجميل أن يتواكب تسيير قافلة سبلة عمان مع احتفالات البلاد بالعيد الوطني المجيد سنويا.. والأجمل أن تكون القافلة سفيرة للثقافة العمانية تعرف الجمهور العربي والغربي على حد سواء وتقربه من المشهد الثقافي العماني بجميع جوانبه القصصي والروائي والشعري والتشكيلي والمسرحي والتصوير الضوئي والخط وغيرها

الإعلامية عائدة الزدجالية

انجاز وتواصل

لقد شكلت مشاركتي في القافلة إضافة مهمة في تجربتي حيث أتاحت لي فرصة عرض أعمالي في باريس وبروكسل لنخبة رائعة من الأدباء والأكاديميين والمثقفين العرب والأجانب والتعريف بالمراحل التي قطعها التشكيل العماني، ووقع اختيار لجنة من الخبراء على أحد أعمالي ليعرض بشكل دائم في إحدى قاعات معهد العالم العربي بباريس وهذا شرف كبير لي أن يقف اسمي إلى جانب أسماء فنيّة كبيرة في العالم وقد أعطاني دافعية كبيرة على الإنجاز ومواصلة العمل خدمة لبلدي الذي قدم لي الكثير وها أنا أقدم شيئا له من خلال الواني وفرشاتي"

الضنانة عالية الفارسي

قدوة لمبادرات عربية

الرهان على ذلك التقارب يمكن أن يثمر من مبادرات القوافل التي تسيّرها السلطنة "قوافل أثير الثقافية" بمسعاها الحثيث للإرتقاء وتمثيل الثقافة العربية خير تمثيل، بما يجعلها قدوة مستقبلية لمبادرات عربية أخرى تتعاضد لتشكل الوزن المرتجي لمنزلة وقدرة تلك الثقافة

د.علي ثويني

نخبة رائعة

لقد أضافت لي مشاركتي الكثير ويكفي إنها جمعتني بنخبة رائعة من الأسماء المتحققة في السلطنة وأعطتني فرصة لإيصال صوتي إلى المثقفين العرب والأجانب والإطلاع على متاحف باريس وجماليات فنونها وهذه أعطتني العديد من الأفكار الشعرية التي ستجد طريقها إلى الورق

الشاعر حسن المطروشي

تجليات النهضة

تشرفت بإخراج أوبريت "أحفاد السندباد" ليكون أول أوبريت عماني يعرض في عاصمة أوروبية محوره النهضة العمانية بكل تجلياتها وقد وجدت تعاوناً كبيراً من قبل الجميع مؤسسات وأفراداً لإنجاز العمل الذي أتمنى أن نكون قد وفقنا به تفاصيل كثيرة في طريق طريق القافلة ستظل راسخة في ذاكرتنا وأجمل ما في الأخوة المشاركين في القافلة أن لديهم همّاً واحداً وهو نجاح الفعاليات فقبل افتتاح معرض الفنانة عالية كان الكل يشارك في تعليق اللوحات بدءاً من رئيس الوفد الدكتور عبید الشقصي والمدير العام لسبلة عمان موسى الفرعي إلى عبدالرزاق الربيعي وبقية المشاركين. هذه الروح الجماعية هي التي جعلت الفعاليات تحقق النجاح الذي أحرزته".
المخرج سعيد عامر

إضافة كبيرة

لقد شكلت لي القافلة دافعاً معنوياً وإضافة كبيرة إلى سيرتي الذاتية في الرقي بالوطن والمواطن، والتعريف بهويتهم السامية، فوطننا مليء جداً وثري بثقافته من كل النواحي وأيضاً على كل المستويات منها الفنون والسياحة وبمثل هذه القوافل قادرون لترويج هذه المنتجات الراقية وبالنسبة للتأثير على من حولنا بكل تأكيد نفاخر وتتفاخر بأن يكون لمثل هذه القوافل دور بارز في الرقي بهذا البلد المعطاء وجنبا إلى الأدوار التي تلعبها الحكومة في هذا الجانب".

عازف العود يعقوب الحراصي

دافع قوي

كم يطيب لي شرفاً أن أكون سفيراً لوطني الغالي في القافلة التي احتضنتني فيها سبلة عمان الثقافية في نسختها الثالثة على أن أحمل المسؤولية على عاتقي وأنجز مهمامي على أكمل وجه.. بداية من مطار مسقط، محلقاً بالجو إلى أرض باريس ومنها إلى لندن. على أن أحتفل بالعيد الوطني.. ومشاركة إخواننا العمانيين الفرحة بهذا العيد في أوروبا.. آملاً من المولى عز وجل أن يوفقني في تقديم ما تعلمته من المسرح في عمان. وكل الشكر على منح الثقة لي واختياري من ضمن القافلة لتمثيل المسرح في هذا العيد، حيث تم اختيار مسرحية المونودراما (مجرد نفايات) ليتم عرضها أمام الجمهور العماني أولاً والأوروبي ثانياً، وأتمنى أن يكون العرض مناسباً للذائقة الثقافية على أكمل وجه، وما وجدناه في باريس من صدى بهذا العرض أعطانا دفعة قوية لبذل المزيد في لندن.

الفنان عبد الحكيم الصالحي

نقطة نوعية

إن وجود قافلة عمان الثقافية، في حد ذاته نقطة نوعية للثقافة العمانية والفنون مختلفة، حيث إنها وفي نسختها الثالثة تجوب بلدان العالم للتعريف بالمتحف العماني والفنان والأديب والشاعر والمصور والرسام والصحفي للتعريف بما وصل إليه الإنسان العماني والتعريف بتجربته الناضجة والمتمرسة، وليس غلوّاً بأن أصف المتحف العماني

بأنه قد تبوأ مراكز دولية تؤهله بأن يكون من ضمن الأعلام والشخصيات العالمية المعروفة، وهذا ليس بغريب عليه فهو ابن صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ابن عمان البار وقائد مسيرة العلم والنور فيها، وأفخر بنفسه بأن أكون أحد سفراء بلدي لتمثيلها في العاصمة الفرنسية باريس والعاصمة البريطانية لندن لتقديم أول عرض مسرحي مونودراما في السلطنة من تأليف الكاتب المسرحي الشهير قاسم مطرود -أتمنى له الشفاء- ومن تمثيل الممثل المبدع والمتجدد الشاب عبد الحكيم الصالحى ومن إخراجي، حيث إن المسرحية فازت بجائزة أفضل عمل متكامل وجائزة أفضل إخراج وجائزة أفضل ممثل في مهرجان المسرح الجامعي الخامس، وما يضيف لي فخرا بأن أكون أحد أفراد هذه القافلة التي أتاحت لي التعرف على مجموعة من الشباب الذين لم تتح لي الفرصة للتواصل معهم سابقا، أملاً أن يدوم التواصل والإبداع لعمان وشعبها وباني نهضتها، وليس لي إلا أن أتوجه للقائمين على سبلة عمان بجزيل الشكر والامتنان على ما يقدمونه من جهد ودعم لعمان والمثقفين في كافة الجوانب والأنشطة.

المخرج خالد العامري

تجربة مثمرة

ماذا أقول وما عساه كلامي لو قلت نثرا أو نظمت قصيدة لعجزت حقا عن بلوغ مرامي بداية أشكر جميع القائمين عليها وعلى رأسهم الأستاذ موسى الفرعي على إتاحتها الفرصة لي بأن انظم إلى هذا الركب المبارك الذي يضم نخبة من أبناء عمان المثقفين والأدباء والفنانين حيث لي الشرف العظيم بأن أكون بصحبهم في هذه القافلة، وعليه فقد قدمت العديد من الأناشيد وقد لاقت الاستحسان وهذه تجربة أضافت لي الكثير من خلال لقاءنا بالعديد من المغتربين العرب في باريس ولندن.

المنشد العماني بدر الحارثي

رسالة سلام وصدقة وثقافة

كانت الرحلة محاطة بالكثير من التشريف لي لأن أكون واحد مع تلك الكوكبة من أبناء عمان المثقفين من الشعراء والفنانين والمنشدين والاعلاميين الذين

حملوا مشاعل الإبداع من أرض قابوس السلام وعمان أرض الحضارات إلى أرض باريس أرض الأنافة والذوق والجمال ولسان حالهم وقلم مقالهم يقول أن عمان تهدي إليك تحيتها وسلامها ممزوجة بعطر حضارة تستلهم علاقاتها معك منذ قرون أحتضنها رحم التاريخ ، كوكبة جاءت إليك يا باريس لتقول لك أن عمان تمد إليك يدها لتظل علاقاتها معك نموذجاً يحتذى في جميع المجالات .

هذه الرحلة منحتني صحبة أناسا أحببتهم ، أنجذبت إليهم ، ذبت في قصصهم وحكاياتهم ، وسأظل أتذكرهم فهم حقا شغلوا داخلي مساحات بحجم هذا الكون من حبي وفرحي وإنشغالي ، ومن شعوري بوجودي فلقد كانت الايام التي عشتها معهم إستثنائية بكل ما تحمله هذه الكلمات من معنى فقد تشاركنا في كل شيء ، تقاسمنا اللقمة معا وتسامرنا على ضوء قمر واحد وخلصنا للأيام ذاكرة سترحل تملأ الأجواء نورا وألقا وإشراقا فتحية خلود لهم أسطرها بأحرف من نور تملأ نفسي تسبيحا أبديا وإشراقا سرمديا .

أدهشتني كثيرا هذه المدينة وسحرتني بكل ما فيها حيث لا يوجد شيء فيها لا يلفت النظر ويسحر القلم ويفجر الاحساس فكانت في باريس هذه الكلمات التي قتلها وكأنني أصف ذوباني أمام جمال امرأة طالما إنتظرت سماع أغنيات وقصائدي .

تغمرني فرحة عامرة ومشاعر مبهجة في هذه الرفقة المختارة من الإخوة والأخوات المشاركات في هذه القافلة التي تحمل في طياتها رسالة السلام والصداقة والثقافة ، رسالة تقول للعالم إن عمان بلد الحضارة وبلد التاريخ وبلد الفن ، وهي فرصه مواتييه لكي أقدم شكري الجزيل وامتناني الكبير لسبلة عمان على اختيارها لي لكي أكون من ضمن أعضاء هذه القافلة التي ستزور باريس أولا ومن ثم لندن ، ومن خلالها سيستطيع أن يساهم ولو بشيء بسيط في تقديم وجه عمان الحضاري وموروثها التاريخي وأن بلد تتنفس الفنون بشتى أشكالها ، ومن خلال فن الحروفيات الذي يتخصص فيه فاني قدمت محاضره وعرض مرئي لعموم التجربة الفنية في عمان وعن خصوص تجربتي التي يصل عمرها إلى أكثر من عشرين عاما .

الفنان التشكيلي عبدالناصر الصايغ

إفادة واتساع مدارك

تمثل لي هذه المشاركة خطوة البدء في العمل الأدبي والثقافي على المستوى المحلي , كان من الجيد أنها أتت وأنا لا أزال في البداية لأنه وبناءا عليها ستكون هناك - وكما أحسب - إفادة واتساع مدارك على صعيد جودة الكتابة وأيضا على صعيد الممارسة الثقافية الجماعية .. وعلى أية حال ففي كل فعالية ثقافية حقيقية .. أنت تنتظر احتكاك أدبي ما , في المسابقات الشعرية يتجلى أمامك اختلاف التجارب لدى الشعراء , اختلاف توجهات الكتابة واختلاف المفاهيم الكبرى التي تنتج منها عمليات الخلق الأدبي , في القافلة تتشارك في تقديم ما تملك على المستوى الأدبي , ما تملك باعتبارك - كشاعر - مادة يجب أن تصل للمتلقي , وبها أيضا يشف الشعر عن حقيقته التواصلية

الشاعر إبراهيم الهنائي

اشراء للتجربة

لاشك إن مثل هذه المشاركات والفعاليات تثري التجربة الشعرية وتشد من أزر أي مبدع وتدفع به إلى الأمام ونحن صراحة في هذه القافلة الثقافية نشكر القائمين عليها ونخص بالشكر سبلة عمان شكر بحجم السماء ونتمنى الاستمرارية لها في تسيير مثل هذه القوافل وكذلك المناشط الثقافية التي تعكس وجه عمان الثقافي وتظهره للعالم في كل مكان هنا يتواجد الشاعر والإعلامي والكاتب والمسرحي اعتقد إن الاختيار أتى تكريما وتشجيعا لهؤلاء المبدعين كذلك ما يدفعني هو أنني مثلت شعر النبط العماني من خلال أمسيات في باريس ولندن .

الشاعر ناصر الغيلاني

شهادات

صخبنا في مدينتين "باردتين"

محمد بن سيف الرحبي

-١-

حينما كانت مسقط في طريقها لمغادرة صيفها متجهة إلى مرحلة الدفء كنا ننطلق نحو مغامرتنا الجميلة باتجاه عاصمة الجمال الأوروبي باريس، وكان البرد يستقبلنا بحرارة شوقنا لرؤية هذه الأنثى الجميلة التي خلقها الله على صورة مدينة كل ما فيها جميل، حتى التيه فيها.

أقول نحن وأشير إلى قافلة سبلة عمان في رحلتها الثقافية الثالثة، وهي تسير في مشروعهما الذي يخرجها من كونها منتدى (افتراضي) إلى مؤسسة (على أرض الواقع) أخذت على نفسها مهمة التخلي عن عباءتها التقليدية حيث المنتديات التي تقول وفق ما ينبغي لتقدم (السبلة) ما يفترض من نشاط ثقافي يخدم المجتمع بشكل مباشر، وقد فتح نوافذ الحرية على مصراعيها (عبر المنتديات الافتراضية) فلا أقل من أن يسير بموازاة ذلك اجتهاد يضيف إلى مؤسسات المجتمع بما يدعم رسالة الحوار (الأسمي) خاصة عبر ثقافة ووعي وحضور.

سارت قافلة السبلة بنهج يختلف عن المتعارف عليه، فلم تكن العناية بتقديم أمسيات ومحاضرات وندوات قدر ما تعرف المشاركين على عاصمتين لهما وزنهما في ميزان السياسة الأوروبية والحضارة المتشابكة والمتشابهة والمتواصلة عبر مسارات ومساقات لها فاعليتها في سائر عواصم الدنيا، لندن وباريس، والتجوال فيهما والارتحال بينهما له متعة دافئة رغم الطقس البارد ..

شباب لهم حضورهم في الشعر والقصة والتشكيل والمسرح والإعلام وغيرها من الأجنحة الثقافية والفكرية التي تحتاج إلى أن تقدم نفسها للآخرين، وأن تتعرف على مكونات أخرى تضيفها إلى رصيد تجاربها وهي بصدد ترسيخ حضورها في الساحة الثقافية المحلية (وخارجها) مدفوعة بما وجدته من اهتمام يجعل من قافلة سبلة عمان قافلة عمانية وجدت الدعم من جهات متعددة مادية ومعنوية، وقفت معها جهات أشعرت المشاركين أنهم ليسوا في مغامرة بسيطة يقودها منتدى إلكتروني إنما في مهمة ثقافية تبناها موقع له قدر كبير من الأهمية لكنها تحمل اسم عمان، هدفا ومضمونا، بوقفه جهات عدة في السلطنة قدمت الدعم المادي والمعنوي لتنجاح التجربة، وإذ تعيش دورتها الثالثة فإنها أثبتت نجاحها، مستمرة من عام إلى عام، تتوسع من فكرة صغيرة بدعم فرقة مسرحية، إلى تالية مكونة من شرائح ثقافية قدمت فكرا وشعرا، ثم بأصواتها الجديدة ترسخ رؤية أخرى تدعم الحاضر الثقافي لتبنى مستقبلا يتشكل من هذه اللبنة الطيبة.

لم يغب دفء الوطن عن البال وشباب عمان يكتب قصيدته من أجلها، ينشد في محبتها، يفكر في غدها، يشكل الحروف من أبجدية أرضها.

قدموا القصيدة المهداة إلى عمان، والقصة المعجونة بترابها، واللوحة المرسومة بجبرها، والمسرحية التي قدمتها أصوات مبدعة منها، والصوت الإنشادي المتغني بعشقها، ومعرض كتب مصغر تضمن أحرف من نبض أبنائها، وكانت عمان حاضرة في الأرواح قبل الكلمات.. فكان بحق صخب ثقافي جميل حملناه أمانته بحجة..

-٢-

سرنا في شوارع عاصمة النور، والسير كما يقال في شوارع باريس ثقافة.. والضياع في أزقتها متعة، والجلوس إلى جمالها.. منتهى الجمال.

وكما أن الجلوس إلى شخصيات فاعلة يمنح المزيد من المعرفة، وقد كان اللقاء مع سعادة السفير العماني في باريس أحمد المحرزي إضافة جميلة إلى الشباب المشارك مع الإشارة إلى فكرة رحلة السبلة هذه المرة (أصوات جديدة من عمان) فارتحلوا إلى عمق المعلومات التي قدمها سعادة السفير، ودخلوا تجارب جديدة في حياتهم تكسبهم المزيد من بعد الرؤية واتساع الأفق من خلال تجوالهم في أهم المناطق

الباريسية الشهيرة، متجولين من فخامة قصر فرساي ليطلعوا على عصور من التاريخ الفرنسي عبر زاوية ملكية نهضت على أعمدتها جمهورية تقود أوروبا معرفة وثقافة.. مغادرين ذلك إلى متحف اللوفر، أشهر متاحف العالم، وتجوالاً في أشهر شوارع الدنيا، الشانزليزيه، وقوفاً بالقرب من شموخ أهم مزار سياحي عالمي، برج إيفل.

بين المدينتين الباردين شعرتنا بالدفء، كان القطار المنطلق بين باريس ولندن يأخذنا عبر المانش في رحلة ممتعة، وكان الليل يمنحنا متعة الشعور أننا في طائرة، رغم الحرمان من روعة الطبيعة في الريف بين البلدين المتجاورين، فلا نرى سوى العتمة تطل من زجاج نوافذ القطار.

احسنا بأن لندن أكثر دفئاً، قال أحدهم أننا بدأنا اعتياد البرد، وردّ آخر أننا كنا نرتعش في محطة القطار الباريسية، لكن عاصمة الضباب فاجأتنا بالمطر، كأننا لم نرتقب لقاءه وهو الخبير بطقس المدينة وأحوالها.

شارع العرب كما يسمى، أو أجوارد رود مثلما هو، كل ما فيه ينطق بالضاد، كأنك في أحد الشوارع البيروتية، لا يوجد الكثير من العرب في هذا الوقت من العام، في الصيف له أحواله العربية، لكنه متدثر بالبرد ينتظر زواراً ليسوا مثلما هم حين تزفر صحراء الربع الخالي بحرائقها، وتشتعل شبه الجزيرة العربية بقيظها.

شباب قافلة سبله عمان الثقافية يكتشفون الأمكنة بشغف الشباب، الأسماء التي رأوها كثيراً في نشرات الأخبار وعناوين الصحف تطل أمامهم، قصر الملكة ومشاهد تغيير الحراسة والجمال المنبعث من كل صوب، حديقة الهايد بارك هادئة من صخب البيانات والخطب لكنها صاحبة بروعة سكون الأشجار تحت البرد المتدفق، الأوراق المتساقطة بكثافة قسوة الخريف عليها، البحيرة ترتع فيها السناجب كما تشتت، والبط والحمام بكثافة غير عادية في مكان عام، اشتعلت آلات التصوير بالتقاط ما يمكنها، الحمام صديق ودود، السناجب على المقعد الخشبي يتناول وجبته الصغيرة من يد أحدهم..

في وزارة الخارجية البريطانية دار حديث طويل عن مواقع التواصل الاجتماعي، والربيع العربي، وما تنتظره بلداننا من إصلاحات وما يترقبه المجتمع المدني من

صلاحيات.. ولم ينافس مشاهد الحوارات سوى المدينة وهي تمتد تحت مدى الرؤية في
عين لندن الدائرة على ضفاف السين بأحلام الذين احتضنتهم العربات الزجاجية
معلقون كأنهم يريدون موعداً مع النجوم.

جريدة الشبيبة ٣-١٢-٢٠١١

أسفار.. ومدن محمد بن سيف الرحبي

كان شهر نوفمبر الذي انقضى أمس رائعا بالنسبة لي إلى حد كبير، أتفاءل به، طقسه جميل، وذكرياته أجمل، بدءا من طفولة عرفنا فيها احتفالات الأعياد الوطنية، مروراً بعشرات السنوات التي باركت مسيرتنا المعاصرة.

زرت في الشهر الماضي أربع دول، على ثلاث سفرات متتابة، لا تفصل بينها سوى أيام، حتى خشيت على نفسي من الحسد، لولا أنني واثق بأن مناعتي ضد ذلك كبيرة..

من الشرق (حيث كوريا الجنوبية القصية هناك) إلى الغرب، فرنسا (القريبة من هنا).. تاريخ مكتوب بحبر شرقي (غامض) يتسلل بحفة إلى شرايين حياتنا واقتصادياتنا، وآخر نعرف خبره جيدا، إذ سال على بلداننا العربية استعمارا وثقافة وحضورا، أكبر من أن نصفه، اوسع من أن نحيط به.

من كوريا الجنوبية، إلى مصر، ثم فرنسا وبلجيكا حملت حقيقتي، ومضيت أتعلم، أضيف أشياء جديدة إلى معرفتي المتواضعة، زرت أولها للمرة الأولى، وعرفت آخرها قبل نحو ١٥ عاما (تقريبا) صحفيا يمضي ليكتب عن أيام ثقافية عمالية بتنظيم واهتمام على مستويات عالية.

من كوريا، الوثائق من قدرتها على صنع الغد.

إلى مصر.. الباحثة عن غدها.

ووصولاً إلى القارة الأوروبية، القارة العجوز إذ تحاول المحافظة على شبابها، الغارقة في ديونها، وتحدياتها الكبيرة حيث تعيش التحولات بذهنية تسعى

لمواكبة المتغيرات حتى لا تفقد اتجاهات البوصلة، أما في عالمنا العربي فيبدو أننا لم نفقد الاتجاهات.. إنما البوصلة.

شعرت أن كوريا تعيش مرحلة اللهاث للحاق بالقطار المندفع نحو المستقبل، وأنها واثقة من نجاحاتها، متخطية كثيرين، من أولئك الذين لا يعرفون الطريق إليه أصلاً، أو من الذين تعبوا من اللهاث وأرهقتهم التحديات وتساقطت عليهم أحجار الزمن دون أن يحسبوا ما في الحضارات من متغيرات تعلي شأن هذه وتخفف من شأن تلك، وكما يقال بأن القمة أضيّق من أن تتسع لاثنتين، ولا يمكن أن تتواجد حضارتين في نفس الوقت، لهما ذات القوة.

إنما، هل هناك حضارة كورية (أو يابانية أو صينية) قادمة، أم أن الأمر يتعلق بصناعة شركات (تكنولوجية) مهمتها الأولى جني الأموال من سوق عالمي تتكاثر فيه العملات؟!

لا أستطيع أن أفهم نمو (النمو الآسيوية) خارج هذا السياق، فأن تعمل دولة معينة على أن تكون شركة هائلة في عملتها، أو أن تسعى أخرى لتكون أكبر سوبر ماركت (لتدخل موسوعة جينس) فهذا لن يخلق حضارة بالمعنى القيمي (أولاً وأخيراً) للحضارات التي تعاقبت لتبقى آثارها شاهدة عليها..

ربما.. ما لم نستوعبه، أن الآثار قد تكون مختلفة عما حفظناه من معرفتنا عن الحضارات القديمة، وأن هناك آثار مختلفة، لصناعة حضارة جديدة ليس بالضرورة مشابهة لسابقات ولدن، وممتن أيضاً، في ظروف (دهرية) لها ملامح ذلك الدهر.. ودهرنا (غير).

تحدثت سابقاً (هنا) هن الرحلة الكورية، والقاهرة..

أما الاتجاه صوب أوروبا فقد أصبح تخصصاً تقودنا إليها (قافلة سبلة عمان الثقافية) وهي تمضي في رحلتها الخامسة، مؤكدة قدرتها على صناعة حيوية تسمى (تحقيق الأحلام) لأن أكثر من في القافلة كان يشكر السبلة (ورئيسها: الصديق الجميل موسى الفرعي) لأنها حققت أحلامه.

شباب بالكاد يكتشف الأمكنة القريبة منه حملته قافلة السبلة إلى حلم بعيد، زيارة أوروبا، ليسير في باريس، يلتقط صورة بالقرب من برج إيفل، ويمشي في شارع طالما سمع عنه، الشانزليزيه حيث شرب فنجان القهوة تذكّار تاريخي يكاد يدخل سيرة المرء الذاتية، وعبر رحلة برية يسير بين باريس وبروكسل مكتشفاً الأمكنة التي تشبه اللوحات العملاقة للطبيعة.

هكذا تحققت أحلام البعض، أما نحن، المحسوبين كباراً (في السن فقط) وأحل (شخصياً) في موقع متقدم ضمن القائمة (العمرية) فلم يتعلق الأمر بتحقيق الأحلام بل ما هو أبعد من ذلك.. أن نشعر بالقرب من هؤلاء الذين تحققت أحلامهم.. من شباب جديد (يقترّبون من عمر أبناءنا) لنشاركهم فرحتهم، ولعلهم يجدون في تجاربنا ما ينتقل إليهم بالتقارب، ولا أكبر من السفر يحقق ذلك. ورغم عشرات (السفرات) عبر أجنحة الصحافة إلا أنني وجدت هذه الرحلة الأجل، روح العائلة الواحدة التي جمعتنا، محبة عمان كانت مظللتنا الأوسع من جميع عواصم الدنيا، معنا كانت روح الشاعر (العراقي) عبدالرزاق الربيعي، ولمسات المخرج (السوري) سعيد عامر، وصفاء الشخصية (المغربية) نادية عقيل التي يحفظ لها كامل أعضاء القافلة دمعها وهي تقول بأنها لا تشعر بالغيرة لأنها بين عائلتها العمانية، كل فرد فيها أخ أو أخت.

كانت الرحلة الأجل لأنها صدى ضحكات الأصدقاء وهم يمسخون فارق العمر بين بعضهم البعض ليبدو الجميع كباراً، فلم تكن المسافة بين باريس وبروكسل كما تقول الساعات في معاصمنا، بل كما تشير النبضات في قلوبنا، كلمات رئيس القافلة د. عبيد الشقصي، ومعزوفات الرائع يعقوب الحراسي، وتحليلات الفنان الجميل عبدالحكيم الصالحي، والباقون جميعاً فرداً فرداً وقد تحدثوا عن تجاربهم، اللحظات المفصلية التي غيّرت حياتهم نحو الأفضل، التحديات التي واجهوها، بينهم من اقتحم حاجز العشرين عاماً من عمره للمرة الثانية، وآخرون لا يزالون يبدأونها.

اجتهاد (سبلة عمان) ونجاحها في تجارب سابقة وجد مساندة قوية وفاعلة، من ديوان البلاط السلطاني والطيران العماني، اجتهاد يستحق الشكر، والأهم: المشاركة في القافلة لا تعني مدحها، والغياب عنها لا يستدعي القدح فيها، هناك من وقفوا مساندين ومتواصلين، بموازة آخرين تم اختيارهم لتكريمهم، ولا يمكن للسبلة أن تحقق أحلام الكثيرين لأنها تسير وفق طاقة استيعابية تتحمل تكاليف أوروبا ومشاركة عشرين شخصا عبء كبير جدا.. وإشارة شكر واجبة إلى سفارتي السلطنة في باريس وبروكسل.. كان تعاونهما كبيرا.

أصوات شعرية قيمة في فضاء يجمع بين ضفتين الطيب ولد العروسي

عبر الجميع، الذين حضروا أمسية الشعراء العمانيين في فضاء لامارتان، عن سعادتهم وبهجتهم بمتابعة المبدعين وهم يقرؤون أشعارهم باللغة العربية. ولقد تولت الرسامة المغربية فاطمة غمياح والشاعر الفرنسي إيف لوتورنير قراءة الترجمة إلى اللغة الفرنسية. هذه القراءات التي كانت تتخللها تصفيقات الجمهور وأهات بعض الحاضرين ومن ضمنهم الأستاذ محمد دحو الإعلامي في قناة الجزيرة الذي كان سعيدا مثل الطفل وهو يتماوج مع بعض الإلقاءات، ولقد أكد لي بأنه لم يحضر أمسية مشابهة منذ زمن طويل. أما الشاعرة الفرنسية نيكول باريار فعبرت لي عن تكامل الشعراء في طرح قضايا متفرقة وحساسة، وعن سرورها بحضور هذه الأمسية لأنها اكتشفت من خلالها أصواتا شعرية قيمة في هذا الفضاء الذي يجمع بين الضفتين الجنوب والشمال. أما الشاعر الجزائري والأستاذ الجامعي الهواري غزالي الذي حضر الأمسية مع بعض طلبته فرأى بأنها أمسية موفقة "استطعنا من خلالها اكتشاف مواهب رقيقة الإحساس تملك مشروعا إبداعيا هائلا وكم يكون رائعا أن تترجم إلى اللغة الفرنسية، واقترح لذلك تنظيم أيام دراسية يكون لها طابع نقدي وأكاديمي في آن، وتعقيبا على كلمة الأستاذ موسى فرعي حينما شرح الهدف من إقامة هذه اللقاءات، أقول له إن هذه المبادرات يجب أن تتواصل وأن تصبح مواعيد راسخة تشجع على توفير إبداعات الشعراء والكتاب العمانيين في رفوف المكتبات الفرنسية إما بنسخها العربية أو مترجمة إلى لغة فولتير"

لا أنسى موقف الشاعر الفرنسي إيف لوتورنير حينما أراد أن يخاطب بعض الشعراء، طلب مني أن أنصحهم بزيارة متحف الشاعر الفرنسي الكبير فيكتور

هيغو الكائن بساحة "لي فوج" بباريس الدائرة الثالثة، والتمتع بمعرض لبعض مخطوطاته، قرأت الفرحة في أعين الشعراء الذين شكروا الشاعر الفرنسي على تواضعه وعلى نصيحته ووعدوه بزيارة متحف العملاق هيغو، وباريس هي من بين المدن النادرة في العالم التي تحلّد المثقفين والفنانين وتمنح حيّزا كبيرا للثقافة.

تفاعل الحضور مع ضارب العود الذي صاحب الشعراء أثناء قراءاتهم، وختم الأمسية بأغنية لفيروز وفصلات غنائية وموسيقية أخرى ذات طابع عماني بامتياز.

حكايات كامبريدج.. عين لندن.. ملعب مانشستر يوميات: هدى حمد

لا أحب دخول المدن التي أزورها لأول مرة ليلاً، لأن الليل يُخفي ملامح البلاد، يُغطيها بسحر لا احتمل عليه صبراً، هذا ما حدث عندما زرتُ وزملاء آخرين بريطانيا، لنمثل السلطنة في عيدها الوطني الأربعين، ضمن قافلة سبلة عُمان الثقافية التي تنقلت بين مدن مهمة.

عددنا ستة عشر شخصاً، منّا من يشتغل في الفكر، ومنّا من هو فنان تشكيلي، ومنّا من يكتب القصص، وأكثرنا كانوا من الشعراء. نزلنا في مطار هيثرو، حيث تغيرت درجة الحرارة بشكل صادم ومفاجئ لأجسادنا إلا أننا تجاوزنا البرد، ونحن نوزع طرائف الرحلة بيننا.. تحديدًا بين من ركب في درجة رجال الأعمال، وبين من ركب في الدرجة السياحية - على سبيل الدعابة لا أكثر -

الرجل البريطاني الذي نظر إلى جواز سفري، وقلبه مراراً بين يديه، وتأكد من بصمتي سأل عن سبب تواجدنا، فكان أن أخبره الأستاذ صادق جواد الذي سبقني بخطوات بالسبب، لذا اكتفيتُ بأن أقول: "لنفس السبب جئت.. سأقرأ بعض القصص" فقال مداعباً: "ستقرئين قصصاً عن الرجل العماني البدوي، وعن الجمال؟". وضعتُ إصبعي على جهاز البصمة، وتجاهلتُ الرد عليه. فعاود سؤالي مجدداً: "هل توجد فنادق جيدة في مسقط؟". استفزني السؤال هذه المرة فأجبته: "في كل منطقة من مناطق السلطنة يوجد فندق". ضحك الأستاذ صادق عندما أخبرته أن المداعبة لم ترق لي فقال: "هنالك من يعرف الكثير عن عمان، وهنالك من لا يعرف أننا نعيش الحنين إلى زمن البداوة الآن". حملنا الحقائب، فاصطادنا البرد في الخارج، كان منّا من جاء بملابسه الشتوية، وهنالك من تغافل عن ذلك وجاء مكتفياً بملابسه الصيفية.

قضينا ساعتين ونصف في الحافلة من لندن إلى كامبريدج بين أحاديث ونوم متقطع. عندما وصلنا إلى الفندق كان الليل بارداً، وكل واحد منا يضم يديه إلى

صدره . بحثنا عن مطعم نسد به جوعنا وتتدفأ فيه فكان خيارنا الجيد وقتها أن نتجه إلى مطعم تركي ، حيث أكلنا "سندويشات" لذيذة نصحن بها ناصر البدري ، كما أغرانا بلبن عيران الذي لم يتسن لنا أن نشرب ألد من طعمه ، كانت سندويشات عملاقة فوق حجم جوعنا فاضطررنا لأن نتخلص منها قبل إنهاؤها .

كانت هنالك مفاجأة جميلة في انتظارنا لدى عودتنا إلى الفندق د . عبدالله باعبود استاذ جامعي عماني في جامعة كامبريدج ومدير مركز الخليج للأبحاث . الذي أصبح قائد رحلتنا في اليوم الثاني

الجملة الجميلة التي بدأ بها باعبود شد أسماعنا إليه كانت : لكل مكان في كامبريدج حكاية ، وتابع قائلا : كامبريدج عبارة عن جامعة ، وكليات .. فيها ١٥٠ قسما للتدريس ، وقد بُنيت قبل ٨٠٠ عام . تضم مخطوطات دارون وإسحاق نيوتن ، كلية واحدة فقط من كلياتها حصلت على ٣٠ جائزة من جوائز نوبل . الغرفة التي درس فيها نيوتن ما تزال موجودة وهي تحمل اسمه ، كما عرفت من د . باعبود ، لذا تساءلت : "هل يسكن هذه الغرفة أي طالب أم الطلاب المجيدون فقط" ، ضحك باعبود وقال : يسكنها بالطبع أي طالب .. هنا لا توجد مثل هذه التعقيدات ، حتى أن الدكتور يُنادى باسمه الأول وبدون لقب دكتور . إلا أن الأمر مختلف فيما يتعلق بالعشب ، فلا يمشي على العشب إلا الأساتذة ، وعلى الطلبة أن يمشوا في الممرات الجانبية .

حدثنا باعبود عن كلية خاصة كانت للسيدة منى بنت السلطان جمشيد ، وقد تفاجأ جميعنا بوجود كلية تمتلكها سيدة عمانية في كامبريدج . كما تفاجأنا أن يكون هنالك فرق بين الكلية والجامعة غير الفرق الذي نعرفه حيث أن الجامعة مكان للدرس ، بينما الكلية مكان للسكن وللدرس غير المنتظم أيضا ، وضرب باعبود على ذلك مثلا ، أن وجبة العشاء وجبة مقدسة فهي مكان ملائم لطرح الكثير من الأفكار ثم أخبرنا عن الصديق الذي حكى له عن الثقوب السوداء في السماء ذات عشاء ومن ثم لم يستطع النوم .

وجبة العشاء يحضرها الطلبة بزي التخرج بشكل يومي ، يتناولون العشاء على امتداد طاولات طويلة للغاية وعلى ضوء الشموع فقط ، تساءلنا : لماذا بزي التخرج؟ ،

فقال باعبود ضاحكا: لكي لا تندلق الشوربة! . ظنناه يمزح في ذلك، واتضح لاحقا أنه يقول ما يقوله البريطانيون .

وثمة حكاية أكثر طرافة حدثنا عنها باعبود ، جامعة الملوك ، الجامعة التي كانت لأبناء الذوات ، كانت في الأصل كنيسة عمرها يزيد على المائة عام ، ولم يكن يستطيع أن يدخل إليها أحد من عامة الشعب . يوجد بداخل هذه الجامعة زجاج نادر للغاية ، وخوفا عليه أيام الحرب العالمية طُلب من الطلاب أن يأخذ كل منهم زجاج نافذة ، وأن يحتفظ به في البيت ، لكن وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وعودة الطلاب إلى الجامعة لم يتمكنوا من تركيب زجاج النوافذ فقد كان لكل نافذة قياس خاص ، لا يصلح إلا لنافذة واحدة . لذا رأى الرئيس آنذاك أن أبناء الذوات لم يكونوا على قدر المسؤولية ولم يحفظوا الأماكن التي أخذوا منها الزجاج النادر ، لذا ينبغي أن تكون هذه الجامعة للجميع ، فتحولت من الارستقراطية إلى الشعبية الشيوعية ، وقد درس فيها الكاتب سلمان رشدي . ابتسم باعبود : "ألم أقل لكم إنها بلد التفاصيل الصغيرة" . مرّ بالقرب منّا رجل رياضي يبدو أنه مدرس في إحدى الكليات ، وبين كل جملة وأخرى كان يردد "the other place" تساءلت عن المكان الآخر الذي كان يعنيه ، فأجاب باعبود : المنافسة قوية للغاية بين جامعة كامبريدج ، وبين جامعة اكسفورد ، لذا لا يذكرون الاسم ويكتفون بقول "المكان الآخر" .. لا أدري لماذا تذكرت لحظتها فيلم هاري بوتر ، ولكنني بالمجمل استمتعت بروح المنافسة الجادة .

السماء ملبدة بالغيوم طوال الوقت . المكان يبدو حزيناً للغاية ، ولكن مدينة كامبريدج مكان حميمي ، شوارعها متراسة ، بيوتها تعرف بعضها البعض ، الناس تمشي بهدوء ، الأطفال يمرون من دون إحداث ضجيج كبير ، الجامعات مفتوحة من دون حراس يمكننا السير طويلا وطويلا فيها ، السياح من جنسيات مختلفة يختلطون بالطلاب ، يلتقطون الكثير من الصور ، وكأننا في مزار سياحي .

مشينا طويلا ، أكثر مما توقعنا أننا نستطيع المشي ، لما يربو على ساعتين متواصلتين ، لم نشعر بالملل . المباني الأنيقة تحاصرنا من كل مكان . بمجرد دخولي إلى كامبريدج شعرتُ أنني دخلتُ إلى آلة الزمن ، وخرجتُ إلى عالم آخر ، أو إلى أحد أفلام القرن السابع عشر أو الثامن عشر . أكد لي د . باعبود أن هذه المدينة عندما احترقت

أعيد بناؤها كما كانت تماما لكي لا تخسر أبسط تفصيل من تفاصيلها المعمارية، ويبدو أن صديقتي العراقية الشاعرة ورود الموسوي لم تخطئ عندما وصفتها بكلمتين، "مدينة معتقة"، فلها رائحة خاصة، وبالرغم من أنها مدينة جامعية يتصور أحدنا أنها تعج بالفوضى والضجيج، إلا أننا بالكاد كنا نسمع صوتا، يمر الطلبة كما يمر القساوسة بهدوء وبغناية كبيرة بالخطوات.

بدأ البرد يأكل أطراف أصابعنا، تحولت أنوف البعض منا إلى كرات حمراء، فكان أن دعانا باعبود إلى مطعم هندي. قفز فرح مباغت إلى رأس كل عماني منا، لأننا على موعد مع مطبخ يشبه المطبخ العماني الأرز، والبهارات الحارة، وكان بالفعل طعاما شهيا، في الداخل التقينا بياسر سليمان، أستاذ الدراسات العربية المعاصرة ورئيس قسم الدراسات الشرق أوسطية في جامعة كامبريدج، الذي أدار حوارا مهما مع د. صادق جواد، وبالرغم من أنني جلستُ إلى جوارهما تماما، إلا أنني لم أصغ جيدا إلى حوارهما، فمقابلي جلست سايكو اليابانية "منسقة كما أظن في جامعة كامبريدج"، كانت متحمسة لطرح بعض الأسئلة، دار بيننا حوار قصير، أخبرتني فيه أنها شاهدت عمان في الصور، وأن لها صديقة عمانية. قلتُ لها وأنا أيضا لي صديقة في الكتابة حدثتني ذات عشاء عن صديقتها اليابانية. ثم غيرنا الموضوع وتحدثنا عن الطعام، وعن أنني لا أحب الطعام "المفلفل"، أعني المضاف إليه فلفل. كان ذلك أثناء التقاطي لحديث ياسر سليمان عن المرأة وحقوقها، وعن دفاع الغرب لمنح المرأة حقها في نزع الحجاب، وعن عدم تدخلهم للدفاع عنها عندما ترغب في الحجاب، كان ذلك في الوقت الذي سألتُ فيه سايكو إن كانت صديقتها هي الكاتبة العمانية جوخة الحارثية التي عنيتها أنا أيضا، فقالت بفرح نعم إنها هي.. صديقتي. كانت مفاجأة غريبة بالفعل. في مكان بعيد ومع شخص غريب تكتشف أنك وشخص آخر في زمن واحد تديران حديثا مشتركا عن شخص واحد.. قلتُ في نفسي: "ياللمصادفة العجائية!".

بعد الغداء اللذيذ الذي لم أنج من فلفلته اتجهنا إلى موقع الفعالية حيث قدم الدكتور هلال الحجري ورقته حول عمان في الأدب الإنجليزي، فيما قدم الدكتور صادق جواد محاضرة حول وحدة الحالة الفكرية البشرية استعرض فيها جوانب

الاتفاق بين الإنسانية التي تزيد عن جوانب الاختلاف. كانت المحاضرتان باللغة الإنجليزية، وقد أغمض البعض عينيه، نظرا لما يصنعه البرد، والغداء الهندي الثقيل بالإضافة لعدم التواصل مع المحاضرتين اللتين استعرضتا باللغة الإنجليزية، إلا أن صوتا قويا على النافذة أيقظ الجميع من الغفوة، تلك الغفوة التي لم تنأ آلة تصوير جابر الرواحي عن توثيقها. بعد انتهاء الجلسة عرفني د. عبدالله باعبود على مقدم برامج خير جليس على قناة الجزيرة خالد حروب، الذي استمر برنامجه لمدة ست سنوات، ومن ثم انقطع، وهو عضو في مجلس أمناء جائزة البوكر. سلمتُ عليه، وكان حوارنا القصير فرصة ذهنية لضرب موعد لحوار صحفي صباح اليوم التالي. انتهى اليوم سريعا فما أن خرجنا من القاعة حتى وجدنا الشمس قد غادرت قبل خروجنا. والضباب يلف البلاد، وأفواهنا تطلق الدخان، وكان ذلك تسليية من لم يجرب التدخين في حياته. وصلنا إلى الفندق. تناولنا العشاء. كانت ليلة باردة جدا، درجة الحرارة فيها تحت الصفر، أدرنا على المائدة أحاديث كثيرة بين الحياة والأدب، ثم بدأنا الانسحاب واحدا تلو الآخر إلى الغرف بحثا عن الدفء.

لكن كيف يمكنك أن تعيد أقلمة الساعة البيولوجية التي تحملها في جسدك. الساعة الآن في عُمان تشير إلى الثانية عشرة تماما. بينما الساعة في كامبريدج تشير إلى الثامنة. إنها أربع ساعات كاملة. الحل الأمثل كان أن أبقى برمجة هاتفي وساعتي على توقيت عُمان، على الأقل كان هذا ينجيني من النهوض المتأخر.

يوم جديد..الأحد، حيث أجراس الكنائس تزعق، والناس تتجول بوفرة مستغلة ظهور الشمس، ودفئها الذي لا يخلو من برودة. تجولنا في السوق سريعا، راقبنا الاستعدادات لعيد رأس السنة، لكننا عدنا سريعا فقد كانت الحافلة في انتظارنا ليقلنا من كامبريدج إلى لندن. في الحافلة تأملتُ كامبريدج المعتقة الجميلة الهادئة. تأملتُ المحلات التي تبيع الملابس الخاصة بطلبة الجامعة، فثمة شارع تصطف فيه عدة محلات تبيع الملابس الجامعية لمختلف الكليات، تأملتُ القميص الأزرق الفاتح الذي لا يلبسه إلا من يبلغ درجة عالية من العلم. وتذكرت كل حكايات باعبود عن كامبريدج التي كان قد حدثنا عنها بحبة غامرة. المفاجأة أن هذا الرجل

العماني درس في كامبريدج، والآن يُدرس فيها منذ ما يقارب العشرين عاما، وما يزال يحتفظ بلهجته العمانية الجميلة.

قضينا ما يقارب الخمس ساعات في الحافلة من كامبريدج إلى لندن. كان يُقصر من ثقلها الأحاديث التي تطرقنا إليها، وإلقاء خميس قلم الهنائي للشعر، وسؤال مازن حبيب الدائم عن المكتبات، والفوضى الكبيرة التي يحدثها سليمان المعمري بروحه المرحّة ودعاباته التي لا تنتهي. وإلقاء بدرية العامرية لأشعارها النبطية، كما كان هنالك حديث شيق لكل من يجلس إلى جوار د. صادق جواد. ومن ثم اتصال سهى الرقيشية من الإذاعة، لإلقاء الضوء على فعاليات اليوم الأول، مما اضطرنا إلى التوقف عن الكلام، والإصغاء لما يقوله جابر الرواحي عن القافلة، ومن ثم المشاركين. أغلقت الإذاعة اتصالها، وعادت الفوضى إلى الحافلة مجددا في الوقت الذي كنا نرقب دخولنا إلى ضواحي لندن.

من الصعب جدا أن تحصل في لندن على غرفة أكبر من علبة سردين، فهي المدينة التي يقصدها العالم، وعليك أن تكتفي بذلك الترف الكبير الذي تغمرك به. كانت هنالك مفاجأة صغيرة مخبأة لي في بهو الفندق. اتصل بي الشاعر ناصر البدري، وطلب مني أن أنزل، فنزلتُ فكان أن التقيت بالشاعرة العراقية ورود الموسوي، ولي مع هذه المرأة حكاية طويلة. إنها صديقة "انترنتية"، بمعنى آخر دامت صداقتنا الالكترونية لمدة أربع سنوات متتالية في موقع ثقافي كنت أعده الأهم وهو موقع "مدينة على هذب طفل"، لم نعرف عن بعضنا أكثر من الأسماء والكتابات التي كنا نعلق عليها من حين لآخر، ورسائل الإيميل. لكن بعد عودتي من سوريا توقفت عن الكتابة الالكترونية، وبدأت الالتفات إلى عملي، ولم نعد نتواصل طوال الخمس سنوات الأخيرة. كانت مفاجأة جميلة أن ترى إنسانا بشحم ولحم، وأنت لم تعرفه إلا من خلف الساتر الالكتروني. ذهبنا إلى العشاء في مطعم لبناني هذه المرة بحثا عن الأكل "الحلال"، وكان الحديث شائقا على المائدة.

قررت ورود أن تأخذنا إلى حديقة الهاید بارك، وكان أكثر ما يهمني فيها أن أرى البط، ولكن البطات سبقني إلى النوم. "كل شيء ينتهي في هذا البلد بسرعة..النهار قصير للغاية، والحياة تنتهي هنا في الليل". مشينا طويلا إلى أن وصلنا

إلى لعبة الدولاب الضخمة والتي تسمى "عين لندن"، ويمكنك بواسطة الركوب فيها أن ترى لندن بأكملها. صعدنا إليها وكلنا شوق للمشاهدة، إلا أننا لم ننج من يخافون المرتفعات من الرقعة التي صاحبتنا، إلا أننا حفزناهم على الصعود، كنا متحمسين للغاية للمشاهدة، عندما صعدنا أحاط الضباب بعريتنا، لم تتمكن من التقاط الصور أو حتى مشاهدة المناظر التي أغرينا بمشاهدتها، ولكن من يخافون المرتفعات هم الذين استمتعوا جدا، لأنهم لم يتمكنوا من مشاهدة ما يخيف- على حد قولهم- عدنا بأقدام شبه مشلولة. فـ"الهايد بارك" ضخمة للغاية مشينا ما يربو على الثلاث ساعات ولم ننجز ربعها كما أتصور. عدنا منهكين، وجائعين وذكرنا لحظتها سليمان المعمري بالثعلب الذي دخل جائعا وخرج جائعا، فالمشي نفص وجبة العشاء عن آخرها

تأبطت ورود الموسوي ذراعي وأشارت إلى بعض اللوحات الصغيرة المعلقة على الفنادق، "انظري يا هدى إلى هذه اللافتات.. كل فندق أو منزل أو شارع، سكنه كاتب مهم من مختلف أرجاء العالم يتم توثيقه.."، لن يكون الكاتب الذي يعبر لندن عاديا، سيخلد اسمه، ولن تنساه الطرقات والممرات التي عبرها. ما أجمل هذه اللفتة. هنا انتهت ليلتنا الثالثة في بريطانيا.

صحونا أنا وبدرية العامرية باكرا جدا وكنا مصرين أن نذهب إلى حديقة الهايد بارك نهارا، لنشاهد البط، لنشاهد النهار الأول في لندن، وبالفعل بعد وجبة إفطار سريعة، اتجهنا إلى مغامرتنا السرية، كنا نضع علامات ذهنية على الطرق التي نعبرها لكي نعرف طريق العودة، كانت مكانا رائعا للغاية، وعدد هائل من البشر يمارسون عادة المشي أو الركض.. عدنا إلى الفندق استنادا إلى علاماتنا الذهنية، تناولنا مشروب الشوكولاته الساخن الذي أدمنا عليه أنا وبدرية طوال أيام الرحلة، فكان يمدنا بالطاقة والدفع. في مساء لندن كانت الجلسة القصصية الشعرية التي قدمناها عامرة بالضيوف، والمهتمين، ونخبة من الكتاب العرب المستقرين في لندن.

محطتنا الثالثة بعد خروجنا من لندن كانت مانشستر، والتي لم أظن أبدا أنني سأستمتع عندما علمت أن المعلم الذي سنزوره هو ملعبها الرياضي أولد ترافورد"، ذهبت مع فريقنا المكون من ستة عشر زائرا، شاهدنا الملعب، وتعرفنا كيف يتم

الاعتناء بالعشب في بلد بارد كبريطانيا، ومن ثم التقطنا الصور مع كؤوس الفوز. وهنا سألت مدير السبلة موسى الفرعي عن أفضل لاعب لكي أصور مع قميصه، فكان أن نصحني بقميص روني الذي يحمل الرقم ١٠. المفاجأة الرياضية المسائية كانت حضور حارس المرمى العماني علي الحبسي إلى أمسينتنا الثقافية، حيث استمع إلى أشعارنا وإلى قصصنا.

الحق إنها أيام لا تنسى، وفرت لنا وقتاً لم يكن ليتسنى لنا في عُمان لفتح الكثير من الأحاديث، والنقاشات، والأجمل في الأمسيات التي قدمناها بين كامبريدج ولندن ومانشستر أن أول كلمة تقولها لنا الجاليات العربية أو الطلبة العمانيون الدارسون هنالك: "جئنا لنسمع اللغة العربية، اشتقنا لها.

قافلة عمانية تنصب خيمتها الشعرية في باريس

باريس- أنعام كجه جي

في ضيافة المنتدى العراقي في باريس، حلت قافلة سبلة العمانية في جولتها الأوروبية الثالثة، حيث قدمت أمسية شعرية لجمهور متعطش لهذا النوع المفتقد من الأمسيات. وشارك في القراءات ثلاثة شعراء من سلطنة عمان وشاعر من العراق هو عبد الرزاق الربيعي الذي نصب خيمته في مسقط، منذ سنوات طوال. القافلة التي استعارت اسمها من «السبلة»، وهي مكان اجتماع أهل القرية للتداول في أمورهم، تأسست قبل خمس سنوات كموقع إلكتروني حوار يضم، اليوم، ١٦٠ ألف عضو ويسهم به أكثر من ٢٢ مليون زائر ومشارك. إنه موقع يتطلع مديره العام موسى الفرعي إلى أن يكون الأول في السلطنة وأن يعزز حرية التعبير والنشر وتوفير مصادر المعلومات وتأمين التواصل الإنساني بين العمانيين ومختلف الشعوب والثقافات.

قدمت الشعراء الإعلامية التي تعمل في الفضاءية العمانية عايذة الزدجالي. ورغم أنها مذيعة أخبار فقد انتقت عبارات رومانسية تنسجم والمناسبة وكادت تكون الشاعرة الخامسة في الأمسية التي استهلها الشاعر النبطي ناصر الغيلاني، حامل لقب «شاعر العرب» في النسخة الثالثة من البرنامج التلفزيوني التنافسي الذي جرى تصويره في الكويت. وقد بدأ أول العازفين على وتر القصيدة بأبيات حيا فيها أواصر العروبة التي تجمع ما بين بلده عمان وبين العراق، ثم انطلق يقرأ قصيدته الجميلة المعروفة التي يقول فيها :

«الشعر لولا غايته ما كتبناه صوت الضمير الحي لله دره لولا براعة مبدعيه
تركناه ما عاد له بالنفس مثقال ذره» .

ثم قرأ الشاعر العماني إبراهيم الهنائي مقاطع من قصيدته «رمل»، جاء فيها :
«أمضي إلى الصحراء أطفئ شهوة الرمل الممدد من صفائرها منسلا من الأضداد
مسكونا بألف غواية للريح كالأسلاف كالعشب الذي منذ اختلاف الموت والموتى
تداركه الحنين إلى الأقصى» .

والهنائي طالب جامعي يدرس الهندسة المدنية، وهو رئيس جماعة «الخليل»

للأدب في جامعة السلطان قابوس، وسبق له أن حاز المركز الأول في الشعر الفصيح في ملتقى «نزوى» الأدبي.

لما جاء دوره، بدا الشاعر عبد الرزاق الربيعي متأثراً وهو يرى بين الحضور وجوها لأصدقاء لم يلتق بهم منذ زمن بعيد. إنه الشتات العراقي الذي يتفرق في أرض الله الواسعة لكي يلتئم حول مائدة الشعر، مرهم الأرواح المستوحشة. واختار الربيعي، الذي يعمل رئيساً للقسم الثقافي والفني في جريدة «الشبيبة العمانية» وله أكثر من عشرين كتاباً في الشعر والمسرح والنقد والعمل الإعلامي، أن يقرأ قصيدته ذات النفس الملحمي «أصابع فاطمة»، ومن أجوائها:

«ذهب الذين...

وفاطمة تركت أصابعها تسيل على رماد أصابعي في وحشة الأسماء حيث
تسهل الريح في الجباه المعتمة ذهب الذين...
تسربوا من صورتين بمحمل العرس العتيق:

ظفيري بنت المعيدي والأمير بسيفه المشطور نابا الليل هادئتان كفا جدتي في
الليل عند الموقد الشتوي هادئتان عينا أمانة في السر دامعتان سبحان الذي أسرى بنا
حين استدار الوقت من قصب بحري الرافدين إلى أقاصي فندق في حضرموت وفاطمة
جلست على راح الرياح تمشط الأزهار في شعر الفصول النائمة» رابع القراء كان
الشاعر العماني محمد بن سيف الرحبي، وهو كاتب صحافي وروائي أيضاً، عمل
مديراً لتحرير جريدة «عمان» ورئيساً لتحرير مجلة «الثقافية». وكان الشاعر
متواضعاً وهو يقدم قصيدته قائلاً إنها نصوص نثرية وأنه ليس بشاعر لكن عبد
الرزاق الربيعي أوهمه بذلك. ومن أجواء نصوصه:

«يغرقني طوفان الأسئلة كل ابتسامة منك سؤال... تباعد بين الأسطر تلغي
الفواصل من أمكنتها... تخلط بين الحروف كل حيرة منك علامة استفهام تبقى واقفة
آخر السطر...».

يذكر أن قافلة «سبلة» توجهت، بعد باريس، إلى العاصمة البريطانية لندن
لتقديم أمسيات شعرية هناك، على غرار رحلتها السابقتين.

جريدة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء ٠٣ محرم ١٤٣٣ هـ ٢٩ نوفمبر ٢٠١١ العدد ١٢٠٥٤

الكتاب العماني في مدينة النور حزركنا في معهد العالم العربي

١

رسالة باريس: عاصم الشيدي

يبدو المشهد من فوق معهد العالم العربي في باريس أقرب إلى المشهد الفنتازي منه إلى حدود الحقيقة التي ندعي أننا نعرفها. على اليمين ينساب نهر السين بهدوء وتؤدّة إلى نقطة قريبة حيث ينفصل إلى قسمين، الأول يأتي خلف كنيسة نوتردام والآخر أمامها، لتصبح الكنيسة محاصرة بالسین عن اليمين وعن الشمال. وفي المشهد البعيد يبدو برج إيفل العظيم شامخاً رغم أن أضواءه لم تشتعل بعد. أما في اليسار "العربي" فثمة مشهد لا يقل جمالاً وروعة من مشهد اليمين. مجموعة من الشعراء والكتاب والمثقفين العرب والفرنسيين يجتمعون في أهم قاعة من قاعات معهد العالم العربي، ويتحلقون حول الشاعر العماني سيف الرحبي، وحول أكثر من ٣٠٠ إصدار عماني حديث في مختلف صنوف المعرفة والإبداع.

ولأن مبنى معهد العالم العربي ذو الطوابق التسعة مبني من الزجاج، فبإمكان أي كاميرا سينمائية أن تلتقط كل التفاصيل التي تحيط بالمشهد الرئيسي بسهولة ويسير، دون الحاجة إلى القفز فوق السقف السينمائي لمعرفة ما يدور في الداخل. يقترب المشهد أكثر وأكثر من القاعة، يبدو سيف الرحبي في طريقه إلى المنصة، وبرفته الشاعرة والناقدة زينب الأعوج التي تنوب عن زوجها الروائي واسيني الأعرج في الأمسية بعد أن تعذر عليه القدوم من الجزائر، كما يرافق الرحبي الجراح والروائي خليل النعيمي، الذي يبدو أنه خرج لتوه من عملية جراحية في كبد أحد مرضاه، ليبدأ بمشارط النقد والإبداع قراءة في تجربة اغتراب سيف الرحبي، إضافة إلى موسى الفرعي مدير عام سبلة عمان الجهة المنظمة للفعالية ضمن صالونها الثقافي الشهري. وفي المشهد المقابل يبدو الدكتور أحمد الصياد المدير العام المساعد لليونسكو والناقد صبحي حديدي، وعيسى مخلوف، وأيتيل عدنان، وبشار العيسى، وزاهر الغافري، والدكتور محمد العريمي، وبدور الريامي، وسلطان العزري،

وأحمد الإسماعيلي، ونخبة من الشعراء الفرنسيين الشباب.

إنها باريس إذن استطاعت أن تجمع كل هذه الحشد من الكتاب والمثقفين العرب المغتربين، والمهاجرين إلى باريس عاصمة النور، وصالون سبلة عمان الذي استطاع ذات يوم أن يخرج من الفضاء الافتراضي إلى الفضاء الواقعي المحلي، وهو اليوم خارج أيضا إلى الفضاء الواقعي الكوني.

بدأت الاحتفالية التي تنظمها صالون سبلة عمان للاحتفاء بالشاعر سيف الرحبي، وبمعرض للكتاب العماني بكلمة ألقتهها المديرة العامة لمعهد العالم العربي منى خزندار رحبت فيها بالشاعر سيف الرحبي، مؤكدة في الوقت ذاته أن المعهد يتشرف بأن ينظم احتفاليات بقامات شعرية وثقافية عربية بحجم سيف الرحبي. ورغم أن صالون سبلة عمان هو من نظم الاحتفالية بكل تفاصيلها، حتى أنه دفع إيجار القاعة التي أقيمت فيها الفعالية "السلطنة أحد أهم الدول التي ساهمت وتساهم في الدفع بجهود المعهد إلى الأمام" إلا أن أهمية كيان معهد العالم العربي في قلب باريس جعلت من الأهمية بمكان أن تكون الأمسية والاحتفالية فيه.

وتحدث موسى الفرعي خلال كلمته في الاحتفالية عن الشاعر سيف الرحبي الذي يكرم اليوم في باريس بعد أن ساهم في إعطاء المشهد الشعري العماني والعربي بعدا إبداعيا تلمسه الجميع. وتحدث موسى في كلمته عن أهمية الحراك الثقافي الذي تقوم به الكيانات المدنية لتفعيل المشهد الشعري، دون انتظار المؤسسات الرسمية، لأن شأن الثقافة يعني الجميع بالضرورة.

كانت السماء تمطر بغزارة في الخارج، ونهر السين رغم كل شيء يجري بهدوء وسكينة نهر خبر الحياة وشهد على كل تحولاتها التكنولوجية واللغوية. على وقع هذا المشهد بدأ تقديم شهادات المشاركين في الأمسية حيث تحدث الدكتور زينب الأعوج حول تجربة سيف الرحبي مشيرة أنه "حاول على مستوى اللغة أن يخلق قاموسه الخاص، والمتميز. وما نلاحظه في سيف الرحبي أنه ليس بالشاعر الذي يكرر نفسه ولكنه في كل عمل إبداعي يأتينا بالجديد سواء على مستوى اللغة، أو على مستوى الصورة الشعرية". كانت الأعوج ترتجل ورقتها/شهادتها. ولم يفتها في البدء أن تعتذر نيابة عن زوجها الروائي واسيني الأعرج الذي أحاطت به ظروف

منعته من الوصول إلى باريس قادما من الجزائر، الأمر الذي جعل سيف الرحبي يمازحها بالقول "أنت نقديا أهم من واسيني الأعرج". تقول زينب الأعوج "ما يميز سيف الرحبي في كتاباته أنه حاول دائما أن يلتقط اليومي والمعاش ليعطينا إياه في صورة شعرية متميزة، نقرأها بمتعة مفرطة وكبيرة". وتضيف الأعوج "الجانب الآخر الذي نلاحظه كقراء لسيف الرحبي هو التشبع بالمووروث الشعبي العربي والإسلامي والعُماني العميق وكيف جعل منه إسقاطات جميلة على مستوى إبداعي، كما نلاحظ النفس الملحمي الذي يجعلنا نرتبط بالجرح العربي الكبير بشفافية وبجمالية وبمتعة على مستوى القراءة. بمعنى أنه جعلنا نتعامل مع المر اليومي والجرح بمتعة على مستوى القراءة الإبداعية".

بعد ذلك قدم الطبيب الجراح والروائي خليل النعيمي ورقة حملت عنوان "من مقهى "كلوني" في باريس إلى الربع الخالي" ركز فيها على ثيمة الغربة حتى أنه خاطب الحضور في بداية مداخلته بأصدقاء الغربة. يقول النعيمي في ورقته "في الغربة لا يكون الكائن مغتربا عن ذاته، كما يمكن أن يخطر لنا، وإنما يصير مسكونا بها، وفيها ساكنا. النأي، أو البعد يوحد الكائن مع نفسه، ويشحذ وعيه فهو يرحل "أحدا" ويعود أحدا آخر". ويضيف النعيمي "الاغتراب الواعي إذن، تحرر من عبودية النسق المعرفي المألوف".

قرأت بعد ذلك عائدة الزدجالي مقتطفات من مقولات نقدية وانطباعية حول تجربة سيف الرحبي الشعرية لنخبة من النقاد العرب. بعدها صار المشهد مركزا على الرحبي ذاته، وماذا يمكن أن يقول عن تجربته الشعرية وفي باريس بالذات، المدينة التي أحبها وعاش فيها بعضا من حياته خلال المرحلة التي يحلو له أن يطلق عليها "مرحلة الشتات والبحث عن الذات". بدأ الرحبي شهادته بالقول "مهمة عسيرة ربما، تلك التي تطالب الشاعر والكاتب بالإفصاح عن ذاته شهادة وقولا صريحا، حول الحياة والكتابة.. صحيح أن الكتابة محورها الرئيس الذات التي تكون لحظة الكتابة مشتبكة ومتورطة في التاريخ والآخر والعالم، لكن قولها ذاك يأتي في سياق المواربة الفنية وما تشكله من تجديد واستعارة والتباس بالمعنى الإبداعي". ويضيف الرحبي في شهادته حول تجربته "القول الصريح يتطلب نوعا من سيرة متاخمة لسير ذوات

وحيات أخرى، أماكن وطفولات، قرى ومدن تسطع في واقع المخيلة.. شظاياها وشتاتها تؤلف ميناء النص المعلوم بالوصول إليه، بكتابته، وهو أي النص، يقول هذه السيرة الناقصة بكل تناقضاتها، وصعودها وانكسارها، ألمها وفرحها، وهي تقترح على نحو ما رؤية للعالم والوجود وسيرته المبعثرة في أكثر من زاوية مقهى ومكان".

ويضيف الرحبي "ما أحاول كتابته مع أقران وأصدقاء منذ زمن أصبح مديداً على نحو صاعق، يدخل على طريقته هذا السياق.. وكنوع من مقاربة عامة، يمكن القول حول ما أكتب على تنوعه الأسلوبى شعراً ونثراً، إن صحت هذه الثنائية لمثل هذه الكتابة، تتوسل حالات ومشاهد وغيابات لا حد لها عبر نصوص ذات نفس ملحمي، أو تلك الصور والمقاطع الشذرية التي تحاول اقتناص بروقاً خاطفة من مدن الغرباء أو في سماء الربع الخالي.. تلك الصحراء المترامية العدم والعنف والسراب التي شكلت ثيمة أساسية فيما أكتب، ليس فقط لأنها تقع جغرافياً في محيط مكاني الولادي في عمان والجزيرة العربية، وإنما كهاجس وجودي يحتزل وحشة العالم وضياعه وترحله في المجهول المظلم النائي". وكانت الشهادة التي قدمها الرحبي قد تضمنت عدداً من النصوص الشعرية التي تعود إلى مراحل زمنية مختلفة. وقدمت الفنانة المسرحية جونيفاف بوينو، قراءة شعرية ممسحة لنصوص الرحبي رفقة صديقها العازف كلود شوفالييه الذي قدم مقطوعات موسيقية تناغمت مع جماليات الأمسية وجماليات المشهد الباريسي، كما كتبت هي نفسها قصيدة أهدتها إلى سيف الرحبي.

تغيب الشمس في باريس عند الساعة العاشرة تقريباً، انتهت الأمسية ولم تغيب الشمس بعد، رغم كثرة الشعر الذي كان يمكن أن يتناثر في الأرجاء ويضيء مدينة النور، نورا فوق نور.

بعد الأمسية كان الجميع يتحلقون حول معرض الكتاب الذي أقيم ضمن الفعالية، ودارت خلال ذلك الكثير من النقاشات والحوارات حول الكتاب العماني، وأنه بات حاضراً في معارض الكتب العربية. وضم المعرض مئات الإصدارات الشبابية الحديثة، حيث عرضت جمعية الكتاب العمانية جميع إصداراتها، وكذلك إصدارات النادي الثقافي وإصدارات وزارة التراث والثقافة، وكتاب نزوى، وإصدارات شؤون

البلاد السلطاني راعي الفعالية هو والطيران العماني ، إضافة إلى عشرات الإصدارات الكتاب العمانيين الذين أصدروها بطريقتهم الشخصية . ووقع سيف الرحي على إصداره الجديد "نصور لقمان الحكيم" .

تراجع الكاميرا قليلا إلى خارج القاعة العربية إلى الخارج حيث بدأ الشفق الأحمر يعطي مدينة النور جمالا آخر فيما كانت السحب تنقش قليلا عن المدينة إلى حين . كان النهر مازال هادئا ، والبشر يسرون في الطرقات إلى مستقر لهم ، وبرج إيفل يكاد يرى من بعيد ، وكنيسة نوتردام تشق السين إلى جزأين ، وثمة في الأجواء رائحة للثقافة العمانية ستظل بالتأكيد في المدينة .

٢

«أحفاد السندباد» يجاور الآخر بلغة الإبداع..

ويخط سطرًا من أجل السلام

بروكسل - عاصم الشيدي

سجلت الثقافة العمانية حضورا دافئا في العاصمة البلجيكية بروكسل أثار اهتمام الكثير من المتابعين والمهتمين بالشأن الثقافي والفكري . وعرضت قافلة سبلة عمان مساء أمس الأول اوبريتا بعنوان "أحفاد السندباد" حاول أن يختزل في مشاهد مركزة الكثير من تفاصيل المشهد الثقافي في عمان .

ووسط حضور ثقافي ودبلوماسي عربي وبلجيكي عرض "أحفاد السندباد" إبداعهم في مشهد كاد أن يكون متكاملا ومختزلا للحراك الثقافي والأدبي في عُمان .

ودشنت الليلة الثقافية العمانية في بروكسل بافتتاح المعرض الشخصي للفنانة عالية الفارسي حيث تجول سعادة الشيخ الدكتور غازي الرواس سفير السلطنة المعتمد لدى الاتحاد الأوروبي وسفراء الدول العربية وبينهم عميدة السلك الدبلوماسي العربي في بروكسل وعدد من الدبلوماسيين والمهتمين بالشأن الثقافي . وكان واضحا ثيمة التراث العماني بكل تجلياته في لوحات عالية الفارسي إضافة إلى لمحات صوفية لا تخفى في العديد من اللوحات خاصة لوحاتها "تعبد في القمة" .

بعد ذلك قدم مدير سبلة عمان كلمة أكد فيها على أهمية الحوار الثقافي بين الشرق والغرب، متحدثاً: أن دور قافلة سبلة عمان ينطلق من فكرة إيجاد مساحة للحوار بين الطرفين، وأهمية مشاركة الشباب العمانيين في تكريس فكرة الحوار ليس في الداخل فقط وإنما في العواصم الأوروبية حيث تصنع الكثير من السياسات في العالم.

بعد ذلك قدم الدكتور عبيد الشقصي رئيس الوفد ورقة بعنوان "التنوع الثقافي أساس الحضارة الإنسانية" وأكد فيها الشقصي على الكثير من المحاور التي يجب أن ينطلق منها الحوار بين الشرق والغرب. وقال الشقصي في ورقته "نحن في هذا العالم نختار أحد الطريقتين إما أن نثمن لثقافات الشعوب الأخرى دورها في الرقي بالإنسانية والاعتراف بفضلها كما فعل جان جاك روسو حينما ذكر أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم يعد من كبار المشرعين على مدار التاريخ إضافة إلى النبي موسى عليه السلام أو أن نعمل على تحقير الآخر وزيادة الشقة والخلاف. وفي أحيان كثيرة يقودنا جهلنا بالآخر إلى مغالطات تكبر في أذهاننا لتصبح مسلمات يصعب انتزاعها من الذاكرة. في عام ١٩٩٤، وفي أحد مقررات الماجستير بجامعة ماركييت في الولايات المتحدة الأمريكية ذكر قس كان يدرس معي هذا المقرر بأن المسلمين لا يقدرّون النساء ولا يعترفون بمريم العذراء. فلما فرغ من حديثه استأذنت أستاذة المقرر وكانت مسيحية متزوجة من مسلم. فقلت له يا صديقي العزيز أنا أزعم بأنني أعرف عن السيدة مريم وعن المسيح عليهما السلام الشيء الكثير. ثم ذكرت له أن القرآن وهو كتاب المسلمين المقدس قد أفرد سورة بأكملها باسم مريم وأخرى باسم النساء. وأن المسيح عليه السلام ذُكر في القرآن أكثر مما ذكر محمد عليهما الصلاة والسلام". وأضاف الشقصي "من حق الأمم والشعوب أن تحافظ على هويتها الثقافية وأن تتخذ الإجراءات التي تمكنها من ذلك وهذا ينبغي ألا يتعارض مع احترام التنوع الثقافي في الداخل والخارج. ولذا، فإن استحداث بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا لقوانين تلزم وسائل الإعلام بتقديم برامج إذاعية وتلفزيونية من إنتاج محلي وبلغه البلد عملاً مشروعاً للحفاظ على الهوية. فمن فقد لغته فقد سلطانه. وعلمنا أن ندرك أن الدول التي تتميز بتنوعها الثقافي، تعد أكثر ثراءً وجاذبية من غيرها. بل أن الدول

اليوم، تؤكد على اعتبار التنوع الثقافي ضمن العروض السياحية، وقد سعت دول أخرى إلى خلق مدن ثقافية عامة أو خاصة لشعب أو بلد ما داخل حدودها الجغرافية والسياسية. فلم تعد المعالم المادية وحدها من قلاع وأبراج وقصور وناطحات سحاب قادرة على إشباع فضولنا خاصة إذا شابها التشابه والرتابة. في تايلاند مثلاً، يوجه السائح إلى زيارة المنطقة التي تطيل فيها النساء عنوقهن Long Neck Ladies وفي أمريكا يوجه لزيارة جماعة الآمش Amish والقرى الصينية المنتشرة في أكثر من ولاية أمريكية، وفي مصر، فإن السائح لا تكتمل زيارته إلى زيارة الأهرامات. لقد أصبح التنوع الثقافي مصدراً مهماً من مصادر الدخل لكثير من بلدان العالم، ورافداً اقتصادياً مهماً للتنمية والتطور".

وضم أوبريت أحفاد السندباد الكثير من معالم الثقافة العمانية في قالب تكاملي، ضم الشعر والسرد، والمسرح، والموسيقى، والانشاد، والأداء الحركي، كل ذلك على خلفية مسرحية تكشف عن التنوع الجغرافي في عمان وطبيعتها الساحرة. وتدور فكرة "أحفاد السندباد" من خلال اجتراح رحلات السندباد الصحاري التي طافت الكثير من أصقاع العالم. الرحلة الأولى كانت تدور في فلك قسوة الطبيعة التي أحاطت برحلة السندباد حينما انطلقت في تلك السنوات البعيدة في التاريخ، واسقاطها على المشهد الحالي يمكن أن يفسر بأن المشهد العماني الحالي واجه الكثير من الصعاب والتحديات قبل أن يتشكل بالصورة التي هو عليها اليوم، في إشارة واضحة إلى سنوات التكوين الأولى للنهضة العمانية. وعندما ظهر الكتاب محمد بن سيف الرحبي كانت خلفية المسرح تعرض معلومات عن تطور القصة القصيرة في عمان، فيما كان الرحبي يقرأ "سبع إطلالات من شرفة شهرزاد" النص السردية الذي حضرت فيه اللغة الشعرية بشكل مكثف، علاوة على الحضور الطاعي لأجواء ألف ليلة وليلة.

وجسد مشهد الشعر في الأوبريت الشاعر حسن المطروشي الذي قرأ مع أنغام الموسيقى مقاطع من نص يحمل الكثير من أبعاد الوطن الساكنة في القلوب. دخل المطروشي خشبة المسرح بحركة أدائية متقنة وخرج يعقبه تصنيف الجمهور الذي تفاعل مع نصه وأدائه. أم الإنشاد فكان حضوره عذبا بصوت المنشد زهران الهنائي

الذي اختار نشيدا يعزف على أيقونات الوطن ، وينطلق منه ليعود إليه ثانية . وقدم الفنان عبدالحكيم الصالحي ونادية عقيل مشهدا مسرحيا متقن الأداء يحتزل ما وصل إليه المسرح في السلطنة . والصالحي وعقيل كان حضورهم ممتدا من بداية الأوبريت وحتى نهايته من خلال الداء الحركي الراقص الذي يجسد الكثير من التفاصيل التي لا تقولها الكلمات .

وعاد الشعر مرة أخرى مع الشاعر عبدالرزاق الربيعي صاحب فكرة الأوبريت حينما قرأ نصا عن المدن التي تسكنه ويسكنها . وخرج الحضور من لغة الشعر والسرد إلى لغة أخرى يفهمها الجميع ويتواصلون بها ، وهي لغة الموسيقى التي انسابت بين الصور بعذوبة حينما حرك يعقوب الحراسي أوتاره على العود وعزف مقطوعات موسيقية تحتزل هي الأخرى المشهد الموسيقي وتطوره في السلطنة . في نهاية الأوبريت أظلم المسرح تماما فيما كانت الموسيقى مازالت تنساب من كل الجهات خرج المشاركون في الأوبريت يحملون أسرجة "جمع سراج" في أيديهم في دلالة واضحة على حجم النور الذي يمكن أن تبعثه الثقافة والفنون على العالم ، وفي إشارة أن عمان كما نشرت النور في بقاع العالم أيام رحلات السندباد ، ما زالت تبعث نور التسامح والسلام واحترام الآخر في كل مكان .

وعاد الفنان يعقوب الحراسي وقدم وصلة موسيقية عزف خلالها العديد من المقطوعات الموسيقية العمانية والعربية المعروفة . كما قدم أربعة شعراء : حسن المطروشي وعبدالرزاق الربيعي وإبراهيم السالمي ومحمد بن سيف الرحبي الذي قرأ نصا سرديا حمل لغة الشعر وكثافته .

وأشاد الحضور من الدبلوماسيين والمهتمين بالشأن الثقافي بالأمسية العمانية مؤكدين انها مبادرة له صداها في بروكسل وتكشف عن الحضور الثقافي العماني في كل مكان سواء في التاريخ أو في الوقت الراهن الذي بدا فيه العالم في حاجة ماسة للتقارب ونشر ثقافة الحوار .

الثقافة العماني تدخل مساحة الحضور الفاعل في باريس وبروكس

باريس وبروكسل - عاصم الشيدي-

تلقت النظر في عاصمة النور والجمال والثقافة فأنت تعيش لحظات استثنائية؛ ليس لأنك خارج عن السياق الثقافي أو بعيدا عن عمقه، بل لأنك في عاصمة باذخة بالحضور الثقافي، مزدانة بمتاحفها التي تضم بين جنباتها عظمة التاريخ البشري كله. وليس أكبر من متحف اللوفر دليل على ذلك.

لكن الثقافة العماني تعدت مجرد لفت النظر في باريس ودخلت مساحة الحضور الفاعل حينما نفذت فعاليات ثقافية سجلت حضور جانب من جوانب الثقافة العمانية في باريس.

كانت الأشجار في باريس تتعري من كل شيء ولا تبقي على جسدها ورقة واحدة، فيما كانت الثقافة العمانية تعيد رسم جسد متين للحوار بين الشرق والغرب. ومن معهد العالم العربي، المركز الحضاري - أو هكذا يفترض - للثقافة العربية في عاصمة النور، كان ثمة إشعاع ينبج ويغطي للمشاهد بعدا جمالي. كانت قافلة سبلة عمان الثقافية قد حطت رحلة الخريف في قلب باريس ودخلت جموعها إلى معهد العالم العربي، فحضر الفن التشكيلي وحضر الشعر، وحضر الكتاب العماني، وحضر الفكر. وشكلوا مشهدا ينتمي لعمان بمجرد تأمله.

وعلى قدر قرب الفن التشكيلي من القلب وعلى قدر حضوره في الذائقة العمانية والعالمية فقد كان معرض الفنانة عالية الفارسية أول ما دشنت به القافلة فعاليات.

وعبر ٣٢ لوحة انتمت أغلبها إلى الفن التجريدي كانت عالية الفارسية حاضرة في عمق المشهد بميرات يحتزل ما وصل إليه الفن التشكيلي في السلطنة، بل وعكست حضور هذا الفن في المشهد العربي وربما العالمي.

وبعيدا عن تعقيد اللغة ومجازاتها كانت اللوحة تنقل للمتأمل والعاشق العربي والأوروبي من زوار معهد العالم العربي حكاية فن له تاريخه وله تجلياته دون مجازات وبلاغات إلا بلاغة اللوحة التي تصل إلى الجميع دون عناء الترجمة.

أما الدكتور عبيد الشقصي رئيس قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة السلطان قابوس فقد قدم ورقة حملت لمحات من الفكر الحضاري الذي وصل إليه المجتمع العماني، وحملت الورقة عنوان "الحوار الثقافي مقياس لرقى الحضارة الإنسانية" طرح من خلالها مجموعة من الشواهد والمقولات التي تؤكد على أهمية وسائل الاتصال في الحوار الثقافي والشعوب للتقريب بين ثقافات العالم لصنع حوار بدلا من استغلال التنوع الثقافي عنصرا من عناصر الصراع وقال الشقصي «عرفنا فرنسا بل وأوروبا عبر مفكرها الذين ما زالوا حتى اللحظة يمثلون مادة للتدريس في مدارسنا وجامعاتنا. فلا يمر ذكر الحرية دون التعرّيج على فلاسفة التنوير أمثال الفرنسيين رينيه ديكارت، وفولتير والأوربيين الآخرين أمثال جان كاك روسو، وجون لوك وديفيد هيوم وستيوارت مل وإمانويل كانت».

وأضاف " إن واجب الأمم والشعوب اليوم هو العمل بكل الوسائل الممكنة والمتاحة إلى تعزيز الاتصال الثقافي والحضاري وليس الصراع الثقافي. وكما أن جميع الشرائع والقوانين تحمي الخصوصية الفردية، فإن على المجتمعات أن تحمي الخصوصية الثقافية لبعضها البعض. وإذا كان الفهم الخاطئ لمعنى الحرية لا يميز التعدي على خصوصيات الأفراد وحرمتهم، فإنه بالمقارنة لا يميز أيضا التعدي على الأصول والرموز الأساسية للثقافات الأخرى. وعلينا أن ندرك أن الألم لا يشعر به إلا من أدمته الرصاصة حتى نفهم لماذا تضج الشعوب عندما تنتهك ثقافتهم".

وحتى يكتمل المشهد أكثر، وحتى تضفي القافلة على الحضور مساحة من التحليق عاليا في سماوات الإبداع كان للشعر حضوره الآخذ، ومناخاته التي تفتح أجواء استثنائية: حيث حلق الشعراء حسن المطروشي وعبدالرزاق الربيعي وإبراهيم السالمي بحضور معهد العالم العربي عاليا وعلى نغمات عود العازف يعقوب الحراسي، في تمازج سحري بين الكلمة وسحر الوتر ما نثر الدفء على طول نهر السين.

وبعد أن اطمأنت القافلة أن الدفء دب في باريس شدت رحالها إلى وجهتها الثانية، مدينة بروكسل العاصمة البلجيكية التي تلتحف بالبرد على طول أيام السنة. ورغم أن أوراق الخريف المتساقطة كانت هي الحاضرة في المشهد رغم أن الشتاء لم

يحن موعده بعد إلا أن درجات الحرارة مرتفعة بالمقياس البلجيكي حيث تصل في وسط النهار إلى ١٠ درجات فقط!!.

وفي بروكسل كان اسم عمان يتردد كثيرا، سواء من خلال الدعايا التي نظمته السفارة السلطنة هناك أو من خلال الحوارات التي أجرتها إذاعة بلجيكية ناطقة باللغة العربية مع بعض أعضاء الوفد. وكان لأحفاد السندباد في بروكسل حضور دفي أيضا من خلال اوبريت "أحفاد السندباد" حاول أن يحتزل في مشاهد مركزة الكثير من تفاصيل المشهد الثقافي في عمان.

وسبق اوبريت أحفاد السندباد افتتاح معرض شخصي للفنانة عالية الفارسية طغت عليه قيمة التراث العماني بكل تجلياته، إضافة إلى لمحات صوفية لا تخفى في العديد من اللوحات خاصة لوحتها "تعبد في القمة". ومرة أخرى كان للقافلة رسالة سلام وحوار مع الآخر، حيث عاد الدكتور عبید الشقصي ورقة بعنوان "التنوع الثقافي أساس الحضارة الإنسانية" وأكد فيها على الكثير من المحاور التي يجب أن ينطلق منها الحوار بين الشرق والغرب. وقال الشقصي في ورقته "نحن في هذا العالم نختار أحد الطريقين إما أن نشمن لثقافات الشعوب الأخرى دورها في الرقي بالإنسانية والاعتراف بفضلها كما فعل جان جاك روسو حينما ذكر أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم يعد من كبار المشرعين على مدار التاريخ إضافة إلى النبي موسى عليه السلام أو أن نعمد على تحقير الآخر وزيادة الشقة والخلاف. وفي أحيان كثيرة يقودنا جهلنا بالآخر إلى مغالطات تكبر في أذهاننا لتصبح مسلمات يصعب انتزاعها من الذاكرة. في عام ١٩٩٤، وفي أحد مقررات الماجستير بجامعة ماركيت في الولايات المتحدة الأمريكية ذكر قس كان يدرس معي هذا المقرر بأن المسلمين لا يقدرّون النساء ولا يعترفون بمريم العذراء. فلما فرغ من حديثه استأذنت أستاذة المقرر وكانت مسيحية متزوجة من مسلم. فقلت له يا صديقي العزيز أنا أزعم بأنني أعرف عن السيدة مريم وعن المسيح عليهما السلام الشيء الكثير. ثم ذكرت له أن القرآن وهو كتاب المسلمين المقدس قد أفرد سورة بأكملها باسم مريم وأخرى باسم النساء. وأن المسيح عليه السلام ذكر في القرآن أكثر مما ذكر محمد عليهما الصلاة والسلام". وأضاف الشقصي "من حق الأمم والشعوب أن تحافظ على هويتها الثقافية

وأن تتخذ الإجراءات التي تمكنها من ذلك وهذا ينبغي ألا يتعارض مع احترام التنوع الثقافي في الداخل والخارج. ولذا، فإن استحداث بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا لقوانين تلزم وسائل الإعلام بتقديم برامج إذاعية وتلفزيونية من إنتاج محلي وبلغه البلد عملاً مشروعاً للحفاظ على الهوية. فمن فقد لغته فقد سلطانه. وعلينا أن ندرك أن الدول التي تتميز بتنوعها الثقافي، تعد أكثر ثراءً وجاذبية من غيرها. بل أن الدول اليوم، تؤكد على اعتبار التنوع الثقافي ضمن العروض السياحية، وقد سعت دول أخرى إلى خلق مدن ثقافية عامة أو خاصة لشعب أو بلد ما داخل حدودها الجغرافية والسياسية. فلم تعد المعالم المادية وحدها من قلاع وأبراج وقصور وناطحات سحاب قادرة على إشباع فضولنا خاصة إذا شابها التشابه والرتابة. في تايلاند مثلاً، يوجه السائح إلى زيارة المنطقة التي تطيل فيها النساء عنوقهن Long Neck Ladies وفي أمريكا يوجه لزيارة جماعة الأمش Amish والقرى الصينية المنتشرة في أكثر من ولاية أمريكية، وفي مصر، فإن السائح لا تكتمل زيارته إلى زيارة الأهرامات. لقد أصبح التنوع الثقافي مصدراً مهماً من مصادر الدخل لكثير من بلدان العالم، ورافداً اقتصادياً مهماً للتنمية والتطور.

وضم أوبريت أحفاد السندباد الكثير من معالم الثقافة العمانية في قالب تكاملي، ضم الشعر والسرد، والمسرح، والموسيقى، والانشاد، والأداء الحركي، كل ذلك على خلفية مسرحية تكشف عن التنوع الجغرافي في عمان وطبيعتها الساحرة. وتدور فكرة "أحفاد السندباد" من خلال اجتراح رحلات السندباد الصحاري التي طافت الكثير من أصقاع العالم. الرحلة الأولى كانت تدور في فلك قسوة الطبيعة التي أحاطت برحلة السندباد حينما انطلقت في تلك السنوات البعيدة في التاريخ، واسقاطها على المشهد الحالي يمكن أن يفسر بأن المشهد العماني الحالي واجه الكثير من الصعاب والتحديات قبل أن يتشكل بالصورة التي هو عليها اليوم، في إشارة واضحة إلى سنوات التكوين الأولى للنهضة العمانية. وعندما ظهر الكتاب محمد بن سيف الرحبي كانت خلفية المسرح تعرض معلومات عن تطور القصة القصيرة في عمان، فيما كان الرحبي يقرأ "سبع إطلالات من شرفة شهرزاد" النص السردي الذي

حضرت فيه اللغة الشعرية بشكل مكثف، علاوة على الحضور الطافي لأجواء ألف ليلة وليلة.

وجسد مشهد الشعر في الأوبريت الشاعر حسن المطروشي الذي قرأ مع أنغام الموسيقى مقاطع من نص يحمل الكثير من أبعاد الوطن الساكنة في القلوب. دخل المطروشي خشبة المسرح بحركة أدائية متقنة وخرج يعقبه تصنيف الجمهور الذي تفاعل مع نصه وأدائه. أم الإنشاد فكان حضوره عذبا بصوت المنشد زهران الهنائي الذي اختار نشيدا يعزف على أيقونات الوطن، وينطلق منه ليعود إليه ثانية. وقدم الفنان عبدالحكيم الصالحي ونادية عقيل مشهدا مسرحيا متقن الأداء يحتزل ما وصل إليه المسرح في السلطنة. والصالحي وعقيل كان حضورهما ممتدا من بداية الأوبريت وحتى نهايته من خلال الأداء الحركي الراقص الذي يجسد الكثير من التفاصيل التي لا تقولها الكلمات.

ثم عاد المشهد إلى الشعر مرة أخرى حينما قرأ عبدالرزاق الربيعي ثم حسن المطروشي ومحمد بن سيف الرحبي وإبراهيم السالمي نماذج من تجلياتهم الشعري والشعورية، كل ذلك وريشة يعقوب الحراسي تعزف أعذب الألحان. قبل أن يعود بوصلة موسيقية عزف خلالها العديد من المقطوعات الموسيقية العمانية والعربية المعروفة.

وأشاد الحضور من الدبلوماسيين والمهتمين بالشأن الثقافي بالأمسية العمانية مؤكدين انها مبادرة له صداها في بروكسل وتكشف عن الحضور الثقافي العماني في كل مكان سواء في التاريخ أو في الوقت الراهن الذي بدا فيه العالم في حاجة ماسة للتقارب ونشر ثقافة الحوار

الملاحق

ملحق ١: من أزمدة القوافل إلى القطارات والطائرات

سيف الرحبي

تستيقظ آخر الليل،
 تُلقي نظرة على الشارع الخالي، إلا
 من أنفاس متقطعة، تعبده
 بين الحين والآخر.
 وحده النوم يمشي، متنزهاً بين
 قبائله البربرية،
 تتقدمه فرقة من الأقزام.
 وهناك رؤوس وهمية تطل من النوافذ
 على بقايا الثلج الملتصق بالحواف وكأنما
 تطل على قسمتها الأخيرة في
 ميراث الأجداد.
 المصابيحُ تتدافع بالمناكب، قادمة
 من كهوفٍ سحيقةٍ
 لا تحمل أي سر.
 السماء مقفرة من النجوم
 الجمالُ تقطع الصحراء باحثة
 عن خيام العشيرة
 القطاراتُ تحلُمُ بالمسافرين.
 لا أحد... لا شيء...

أغلق الستارة

فرجاً لا تحتملُ

مشهد مدينة تستيقظُ.

هذه القطعة كتبت في منتصف الثمانينيات على ما أظن في باريس، فلم تعد السنوات تأتي فرادى بل في شكل هجوم جماعي لا نستطيع تبين فواصله ومعامله كما كنت أقول للأصدقاء، في هذه المدينة الشاسعة، متذكّرين فترات مضت وتصرمت في الشام وغيرها، تتسلل مزقاً من ذكريات تبلل جوانح المغترب في ليل الحنين.

مهمة عسيرة ربما، تلك التي تطالب الشاعر والكاتب بالإفصاح عن ذاته شهادة وقولاً صريحاً، حول الحياة والكتابة.. صحيح أن الكتابة، ذلك اللعب الذي لا ينقصه الجد، محورها الرئيس الذات التي تكون لحظة الكتابة مشتبكة ومتورطة في التاريخ والآخر والعالم، لكن قولها ذاك يأتي في سياق المواربة الفنية وما تشكله من تجريد واستعارة والتباس بالمعنى الإبداعي.

القول الصريح يتطلب نوعاً من سيرة لاشك متاخمة لسير ذوات وحيوات أخرى، أماكن وطفولات، قرى ومدن تسطع في الواقع المخيَّلة.. شظاياها وشتاتها تؤلف ميناء النص المحلوم بالوصول إليه، بكتابته، وهو أي النص، يقول هذه السيرة الناقصة بكل تناقضاتها، صعودها وانكسارها ألمها وفرحها، وهي تقترح على نحو ما رؤية للعالم والوجود وسيرته المبعثرة في أكثر من زاوية مقهى ومكان.

ما أحاول كتابته مع أقران وأصدقاء منذ زمن أصبح مديداً على نحو صاعق، يدخل على طريقته في هذا السياق.. وكنوع من مقاربة عامة، يمكن القول حول ما أكتب على تنوعه الأسلوبى شعراً ونثراً، إن صحت هذه الثنائيات لمثل هذه الكتابة، تتوسل حالات ومشاهد وغيابات لا حدّ لها عبر نصوص ذات نفّس ملحمي، أو تلك الصور والمقاطع الشذرية التي تحاول اقتناص بروق خاطفة في مدن الغرباء أو في سماء الربع الخالي.. تلك الصحراء المترامية العدم والعنف والسراب التي شكلت ثيمة أساسية فيما أكتب، ليس فقط لأنها تقع جغرافياً في محيط مكاني الولادي في عُمان والجزيرة العربية، وإنما كهاجس وجودي يختزل وحشة العالم وضياعه وترحله في المجهول المظلم النائي، وهي لا تشبه تلك الصحارى الأيقونية، أمثلة الشعر والخلود والرسالات السماوية الطاهرة، إنها صحراء ملوثة ومأهولة بجشع التجار ونفايات العولمة (ولفرد ثيسجر) كتب كتابه

الكبير (الرمال العربية)، الأكثر التقاطاً وشعريّة، وإنصافاً لأولئك القاطنين (على قلق) في هذه التخوم الوعرة. أشاد بقيمهم النبيلة، ونزوعهم الإنساني الصافي. وحين غادر وعاد بعد سنين طويلة، وجد شحّاذين بمظاهرهم الرثة وبؤسهم «يقرفصون» حول آبار النفط، بعد ماضي الكرامة وفيض التعالي... وكما عبر منيف في السياق ذاته، وهو يستقصي أثر التحولات بقتل البراءة والطبيعة باتجاه انفجار الدم والفاجعة المفتوح على مدارات شتى.

أيتها الصحراء.. الصحراء
 ماذا تبقى من قلبك الذبيح؟
 من مدافن قتلاك ونفطك؟
 إنني لا أرى، غير نعشٍ يحمله بوذيون
 وتعاويد أقوامٍ هلكوا.
 ماذا أرى، أيضاً في جروفك
 المليئة بالنميمة
 ومخلوقاتك، بمساحيقها وعطورها
 وأيامها الخاوية؟
 أيتها الصحراء
 غادرك الركبُ تحت شمسٍ ترضعُ أطفالها
 بأضواء سامة.
 غادرك الحقُّ والباطلُ
 وغادرتك الملحمة.
 غادرك الحربُ والسلامُ
 وغادرك الخريفُ الأكثر رافةً
 من ربيع المدن
 غادرتك النجومُ الأولى والأوائلُ
 وضاف الأودية
 غادرك الزمانُ،

وما يظنونه كنزاً ليس سوى آلة حتفك الرهيبة
غادرتك رغبة المسافر في تفتحاتها الأولى
غادرتك أحشاؤك
يجرجرها التجار في أسواق البورصة
غادرتك شفافية الغياب
وذكريات المحارب،
بماذا أصفك :
أرملة العصور
أم مستودع نفايات العالم .

وفي المسار إياه، شكلت طبيعة بلادي الغرائبية الآسرة محرق هواجسي لحظة
الكتابة، رغم رحيلي المبكر عنها والإقامة - على الأغلب- في بلاد عربية أخرى، في
طليعتها القاهرة والشام.. الجبال، تلك المجرات المهولة الجرداء غالباً، التي تجعل من
الطبيعة العمانية بصحرائها وبحارها كوكباً مفعماً بغرابة البرية الأولى، متأخية على نحو
روحي وجغرافي مع أجزاء من شبه الجزيرة، ما يشبه مسودة من مسودات الخليقة في
بدايات التكوين ..

هذا الكون البري بطبيعته الفريدة، أملى على الذاكرة في انسيابها ودققها حيوية،
أساطيره وشخصه، شجره وبشره بسحناتهم الغاضبة في ليل الصحراء والبحار...
وأملى على المخيلة نضارة أفقها وهي تهم في انطلاقها وترحلها في تخوم العالم وغموضه
وإشراقه ..

ليست الطبيعة والأمكنة في هذا المنحى حلية النص وديكوره، بل هي الفاعل
الأساس، مسرحاً لأزمة متصارعة ونيازك ومسرحاً لأحلام البشر وعذاباتهم.. قتلك
الصدوع والكهوف والمغارات التي شاهدناها في طفولتنا المبكرة ومازلنا، كم تذكر
وتستحضر باستحواذ، بصدوع البشر وجروحهم، بمهاوي الإنسان في رحلة الحياة صوب
الهدف الذي يظل الوصول إليه ملتبساً وعصياً، لكن ربما (الغاية هي الطريق) كما عبر
الشاعر الألماني ..

الرحلة والطريق والأمكنة الواقعية والمتخيلة، تمتد من أزمنة القوافل التقليدية بجمالها وحميرها وكلابها النابحة، حتى الطائرة والقطار والسيارة، كلمة قطار من القاطرة وهي الناقة الطليعية في القافلة، هذه العناصر هي جزء من لُحمة النص المفتوح الذي أحاول كتابته نصاً لتخوم وأحلام المسافات المكسورة، لكنني استعجل القول، انه لا يمكن توصيفه بأدب الرحلة بالمعنى (المسالكي) كما عبر نقاد عرب قدماء.. وإن حمل بعضه شيئاً من سمات تلك المسالكية، والجغرافية.

ربما يمكن القول، انها الرحلة في نزوعها الغامض وجوانيتها المؤلفة من شظايا السيرة بتفاصيلها المختلفة، سيرة الفرد والجماعة، سيرة الجيل الذي يبحث عن ذاته المغتربة وسط المدن والحداث المعطوبة، المغتربة حد الانسحاق وجودياً، وسياسياً وحضارياً..

ما تقدم من إشارات ليس إلا محاولة التماس مع بعض العوالم الأثيرة حياة وكتابة ولا تحمل ادعاء تجسيدها الإبداعي الموفق دائماً، فذلك مطلب دونه خطر القتاد كما تقول العرب... ضمن هذه الاشارات أتذكر حدثاً مفصلياً طبع حياتي بطابعه، ولا أمل الحديث حوله في أكثر من زاوية وصورة ووجهة طريق، رحيلي المبكر من عُمان إلى القاهرة ومنها إلى بلاد الشام.. وفيهما كان نوع من استقرار سينكسر لاحقاً لصالح إقامات ذات سمة مؤقتة وانتقالية، أشبه بمحطات باتجاه مكان غير واضح ومعلوم.. ربما الأسلاف الرحّل في هذه الحالة خلعوا شيئاً من لاشعورهم الجمعي على سلوكي.. وهم يمخرون ليل الجزيرة باتجاه الهدف بلدة الماء والكأ، الذي سيغيم في خضمّ العواصف الرملية والرعود ويفضي إلى نقيضه في أحيان كثيرة،... كان الهدف غائماً والطريق الموحشة تخرقها أصوات الذئب وبنات آوى والوحوش.. في أرض الواقع وأرض الميتافيزيقيا المتفجرة بالأسئلة والأجرام المتشظية في سماء نحيلة شعناء.

ستحاول العبارة الشعرية أن تختزل هذه المحطات العابرة إلى تكثيف رامز لعبور الحياة في رحلتها الكبرى وسيقود فقدان الهدف إلى السباحة في الأبعاد (لذة الفتوة) كما عبر هرمان هيسه. ويضطرب الأسلوب الأدبي ويتشظى بين الحقول المختلفة، بحثاً عن صوته ونبرته عبر التجريب والتحديث في مواقد الأسلاف كما في المحطات الحديثة وتحولات العابرين والرياح الموسمية العاصفة على أديم هذه الأرض الثكلي.

في هذه اللحظة التي أكتب فيها هذه العجالة، أتذكر سورية، سورية الجريحة التي ترفض وتقاوم وحش الدم والموت الخرافي بانتظار الخلاص والاستقرار والحرية...

أذكر دمشق، فعلى سفح جبل قاسيون حيث كنا نعيش بساحة شمدين في حي ركن الدين أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات من القرن الذي أضحي ماضياً بعيداً. لكن دمشق ظلت علامة وجد وكرم روعي في الذاكرة.. وكانت بيروت على مقربة مشتعلة بحروبها وصراعاتها والتي كنا نرتادها كما نرتاد المقاهي والمطاعم في حي الصالحية وضفاف ربوة بردى. وعلى الرغم من وضعها المأساوي بيروت كانت تستقبل زائريها وروادها برحابة لا تعرفها المدن التي لا تعاني شيئاً من تلك الحروب الوحشية، كانت دمشق وبيروت أمكنة تجمع لأصدقاء قدموا من بلاد عربية كثيرة لنوازع وأسباب مختلفة.. طبعاً لا يتسع الحيز لذكر أسماء من الجزائر والمغرب وتونس وموريتانيا والخليج العربي وبلاد الرافدين وهم الأبرز في هذا الوجود المقتلع من أرضه قسراً وإكراها.. من منا لا يتذكر المثقف الموريتاني محمد البخاري الذي أصبح من معالم حي الصالحية ولم يغادرها إلا إلى مثواه الأخير؟

في تلك الفترة نشرت أول ديوانين (نورسة الجنون) و(الجبل الأخضر) والعنوان الأخير على اسم جبل أو سلسلة جبلية في عُمان، وهي ربما الأعلى في الجزيرة العربية.. وقد وصف ابن بطوطة سطوة الجبال العمانية بأنها تطبق على القرى والبلدات كما يطبق السوار على المعصم..

(كل هذه الذرى

ولا أحد تركله رغبة الصعود

إلى جبل)

في الكتابين الأنفين يمكن قراءة الملامح الأولى لطموح تعبيرى لا أعرف مدى تحققه، في ذلك النزوع الدامج بين النثر والشعر ومحاولة إلغاء الحدود الصارمة لسلطة النوع الصافي ذهاباً نحو ما يشبه الهجانة التعبيرية.

بعد عام ١٩٨٢ والغزو الصهيوني الساحق على بيروت والأحداث المشهودة لذلك العام المشؤوم، رحل معظم الأصدقاء من العاصمتين وتوزعوا غالباً على المدن والعواصم الأوروبية..

يا شجر السنديان

ويا سمو الصفصاف

حنوك على الموتى

حنوّ المرضعاتِ على الفطيم
وأعمق منه :
حنوّ الأم السورّيّة
على ابنها القتيل ..

دموع اليتامى
في صفائها الملتهب
في انسيابها المضطرب
جدولٌ شفيفٌ
أضاعه في زمنٍ ما ...
نهرٌ بردي
فها هو يبحث عن قبلته
وسط الأزقة والحطام
دموع اليتامى
تهبّ العالم لمعركةٍ قادمة .
(برج إيفل
أيها الراعي
قطيع الجسور يثغو هذا الصباح)

يبدو أن (أبولنير) الشاعر الفرنسي المعروف، يستمد نسغاً من مفردات تلك
البريّات الأولى وهو يصيغ نداءه الشعري العميق لمدينته باريس.. هذه المدينة التي
أصبحت قرينة الخلود، إذا أمكن الحديث عن هكذا مطلق جمال وغموض.. باريس
بجسورها الكثيرة تتبدى «مثل امرأة تعشق الأساور» كما عبر فرنسي آخر فهذه المدينة
المفتوحة على هبوب القارات أجمعها، تتبدى جسورها التي لا تتجزأ عن معمارها الفني
والمعرفي والثقافي الشامل لوحات رشاقة روحية تحاور الهوامش والمتون بنفس الكرم
الإبداعي والسوية الفنية..

هذه المدينة أتذكرها مسرحاً لوجوه وصدقات كتابة وتسكع يوصل النهار بالليل أحياناً.. مكاناً نوعياً من أماكن تلك الإقامات العابرة لكن العميقة.. (ومتى كانت الحياة عدا عبور في حلم أو وهم؟!) وأحس بسعادة أن ألتقي بالأصدقاء الذين عرقتهم من أزمان وأماكن مختلفة.. سعيد أن نتصافح وملتقي من جديد ، ليأخذ الكلام والذكرى مساراً ربما أعمق من الكتابة وهذا هو الأهم بالنسبة لي في أي ندوة أو ملتقى في أي مكان من هذا العالم .

(أبولينيير) الذي يقول أيضاً (كم عنيف هو الأمل) ونحن نحدق في الشاشات والوقائع العارية ونرى كل هذه الدماء المراقبة، كل هذه الهمجية التي تقطع بانحطاط الكائن إلى هذا الدرك من مستنقع القذارة البشرية اللامحدود وقد تراكم عبر أزمنة القمع والاستبداد الجاهل والجحيم... نرى أولئك الفتية الحالمين في الميادين والأزقة والساحات، بفضاء آخر وحياة أخرى... لا بد أن نردد : كم عنيف هو الحلم والأمل .

" من شهادة ألقيت بمعهد العالم العربي في باريس، ضمن ندوة احتفائية بكاتب هذه الأسطر . رعتها (سبلة عُمان) مع المعهد المذكور"

ملحق ٢:

العلاقات العمانية الأوروبية

د. عبيد الشقصي

إنه لشرف عظيم أن أقف أمامكم اليوم في بلد عريق كالجهورية الفرنسية التي كثيرا ما عكست مواقفها أهمية الاتصال والحوار بين ثقافات وشعوب العالم. فلقد عرفنا نحن العمانيون فرنسا في سجل تاريخي يمتد لمئات السنين تارة في إطار البحث عن السيطرة والنفوذ في القرن الإفريقي وتارة أخرى في إطار التجارة وتبادل المصالح والتعاون المشترك. ما تجدر الإشارة إليه هو أن لفرنسا بيت في عمان أهدها إياها السلطان فيصل في عام ١٨٩٦ ليكون مقرا للقنصلية الفرنسية حتى عام ١٩٢٠. هذا البيت لا يزال قائما بمسمى المتحف العماني الفرنسي. ولكن الأهم أننا عرفنا فرنسا بل وأوروبا عبر مفكرينها الذين لا زالوا حتى اللحظة يمثلون مادة للتدريس في مدارسنا وجامعاتنا. فلا يمر ذكر الحرية دون التعرّيج على فلاسفة التنوير أمثال الفرنسيين رينيه ديكارت، وفولتير والأوربيين الآخرين أمثال جان كاك روسو، وجون لوك وديفيد هيوم وستيوارت مل وإمانويل كانت.

نحن في هذا العالم نختار أحد الطريقين إما أن نشمن لثقافات الشعوب الأخرى دورها في الرقي بالإنسانية والإعتراف بفضلها كما فعل جان جاك روسو حينما ذكر أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم يعد من كبار المشرعين على مدار التاريخ إضافة إلى النبي موسى عليه السلام أو أن نعلم على تحقير الآخر وزيادة الشقة والخلاف. وفي أحيان كثيرة يقودنا جهلنا بالآخر إلى مغالطات تكبر في أذهاننا لتصبح مسلمة يصعب انتازعها من الذاكرة. في عام ١٩٩٤، وفي أحد مقررات الماجستير بجامعة ماركيت في الولايات المتحدة الأمريكية ذكر قس كان يدرس معي هذا المقرر بأن المسلمين لا يقدرّون النساء ولا يعترفون بمريم العذراء. فلما فرغ من حديثه استأذنت أستاذة المقرر وكانت مسيحية متزوجة من مسلم. فقلت له يا صديقي العزيز أنا أزعّم بأنني أعرف عن السيدة مريم وعن المسيح عليهما السلام الشيء الكثير. ثم ذكرت له أن القرآن وهو كتاب المسلمين المقدس قد أفرد سورة بأكملها بإسم مريم وأخرى بإسم النساء. وأن المسيح عليه السلام ذكر في القرآن أكثر مما ذكر محمد عليهما الصلاة والسلام.

إن العالم اليوم يتنازعه تياران. الأول يدفع العالم نحو فكرة صدام الثقافات وليس الحضارات وقد تزعم هذا الاتجاه في الوقت الراهن مفكرون أمثال صمويل هنتجتون. وآخر يرى أن جمال العيش على هذه الأرض يكمن في التنوع الثقافي الذي يبعد عنا الشعور بالتمائل والأحادية. نحن المسلمون وجُهننا من قبل القرآن الكريم أن نعترف بالآخر بل ونسعى إلى التعرف إليه والتعارف معه في قوله تعالى "إنا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا". إننا بحاجة ماسة إلى هذا التنوع الثقافي حتى نستلذ بطعم الوجبات الفرنسية والإيطالية والعربية، وبحاجة إلى هذا التنوع حتى نشعر بمتعة السفر والتنقل من مكان إلى آخر. إننا بحاجة لكي نتعلم أشياء لا نعرفها إلا من خلال هذا التنوع. لقد سبق المفكر والزعيم الهندي الكبير المهاتما غاندي الكثيرين في تحديد موقفه من هذا التنوع في مقولته المشهورة:

"لا أريد أن يكون منزلي محاطا بمجدران من كل زاوية وأن تكون نوافذي كلها موصدة. أريد أن تمر ثقافات الشعوب كلها حوالي منزلي بكل حرية ممكنة ولكنني أرفض أن تقتلني من جذوري أي ثقافة من هذه الثقافات".

إن من حق الأمم والشعوب أن تحافظ على هويتها الثقافية وأن تتخذ الإجراءات التي تمكنها من ذلك وهذا ينبغي ألا يتعارض مع إحترام التنوع الثقافي في الداخل والخارج. ولذا، تعد مطالبة المجلس الأعلى للإذاعة والتلفزيون (Conseil Supérieur de L'Audiovisuel) في فرنسا بأن تلتزم القنوات التلفزيونية بتقديم ٤٠٪ من البرامج من إنتاج فرنسي وأن تبث المحطات الإذاعية ٣٥٪ من الأغاني الموجهة للمراهقين بالفرنسية، عملا مشروعا. فمن فقد لفته فقد سلطانه. وعلينا أن ندرك أن الدول التي تتميز بتنوعها الثقافي، تعد أكثر ثراء وجاذبية من غيرها وما فرنسا إلا نموذجاً لذلك. بل أن الدول اليوم، تؤكد على اعتبار التنوع الثقافي ضمن العروض السياحية، وقد سعت دول أخرى إلى خلق مدن ثقافية عامة أو خاصة لشعب أو بلد ما داخل حدودها الجغرافية والسياسية. فلم تعد المعالم المادية وحدها من قلاع وأبراج وقصور وناطحات سحاب قادرة على إشباع فضولنا خاصة إذا شابها التشابه والرتابة. في تايلاند مثلاً، يوجه السائح إلى زيارة المنطقة التي تطيل فيها النساء عنوقهن Long Neck Ladies وفي أمريكا يوجه لزيارة جماعة الآمش Amish والقرى الصينية المنتشرة في أكثر من ولاية أمريكية.

إن محاولة اقتلاع الثقافات الأخرى سيفضي بنا إلى الرتابة والملل مهما حققت لنا العولمة الأحادية من مكاسب مادية قصيرة الأمد. كما أن هذا التفكير سيفضي بنا إلى إقصاء ثقافات وشعوب ساهمت في إعمار الأرض. ومن ينظر إلى العالم اليوم، يندر أن يجد بلداً

خالصا من التعدد في أعراقه وثقافته. فهذا البلد العريق... فرنسا، يشكل فيه الفرنسيون المولودون خارج حدود الأراضي الفرنسية حوالي ٣٠٪، بينما يشكل الأجانب الذي يعيشون في فرنسا حوالي ٢٨٪. كما توجد اليوم دول عربية معظم الذين يعيشون فيها ليسوا من السكان الأصليين، بل لا يشكل المواطنون الأصليون فيها أكثر من ٢٠٪، وأن نصف القاطنين فيها أو يزيد يعتقدون ديننا غير الإسلام.

إننا إذا عمقنا هذا الخلاف فلن يكون أمامنا إلا الصراع، ولن نستطيع استشعار جمال التنوع وتعدد الثقافات بل وأهميتها في الحضارة الإنسانية. لقد توصل عدد من المفكرين في هذا العالم إلى رؤية مفادها أن العوامل الثقافية هي المحدد الرئيس للعلاقات بين الدول والمجتمعات. وإذا سلمنا بهذه الرؤية، فإن كل أنواع التنافس أو التعاون بين الدول في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، مردها إلى عوامل ثقافية تتجاوز حدود الأدب والفن إلى الدين والقيم والعادات. إن الثقافات بحاجة إلى وسيط لنقلها عبر الأمم والشعوب. وقد لعبت الترجمة في الماضي دورا مهما ليس فقط لنقل الإنتاج الفكري للحضارات المختلفة وإنما أيضا في حفظ ذلك الإنتاج الفكري من الضياع والدمار. فترجمة العرب قبل ١٤ قرنا للثقافة والعلوم اليونانية ساهمت في حفظها من الإندثار والفقدان وذلك باعتراف مفكرين غربيين أنفسهم أمثال المستشرق الفرنسي البارون كارا دي فو Carra de Vaux.

لقد اختلفت في عصرنا الحالي طرق الاتصال ونقل الثقافات بين الشعوب بفضل تطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات. فمنذ اكتشاف ماركوني للموجات الكهرومغناطيسية واختراع الراديو في عشرينيات القرن الماضي، وبداية البث الفضائي التلفزيوني المباشر منذ عام ١٩٨٤، وانتشار الإنترنت منذ مطلع التسعينيات وملازمة الهواتف المحمولة لأيادي البشر؛ والعالم تتضاءل مسافته وتقترب ثقافته. ولكن الخطر الماثل على مستقبل العلاقات بين الأمم والشعوب اليوم لا يكمن في تطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات كما يعتقد البعض، بل في تمكن أصحاب الأجندات الإستعلائية من تملك تلك التكنولوجيا واستغلالها لنفث سموم التنافر والصراع الثقافي. وعلينا أن ندرك بأن هذا الفعل يحط من الكرامة البشرية ويبتذل العقل والحكمة، وينبئ عن ضعفنا في تحقيق الاتصال الهادف والبناء. وهذا العمل أيضا يدل على عدم قراءتنا للواقع بأن الثقافة ليست أمرا جامدا بل هي متحركة مكانيا ومتغيرة زمانيا. متحركة مكانيا لأنها قابلة لأن تنتقل كليا أو جزئيا من بلد لآخر. فلو نظرنا إلى لغات العالم لوجدنا أن أغلبها استعارت من بعضها البعض ناهيك عن تبني أنماط حياة لثقافات أخرى. والثقافة متغيرة زمانيا، لأن الثقافة الواحدة يعترها التغيير

عبر الزمن كنتيجة طبيعية لتطور الحياة أو لاتصالها بالثقافات الأخرى. فتقافة أوروبا العصور الوسطى أو حتى القرن العشرين هي ليست نفسها بحذافيرها ثقافة أوروبا القرن الحادي والعشرين. إلا أن تجنيد الجهد على احتقار ثقافة ما أو السعي نحو النيل منها لن يسمح بهذا الانتقال السلمي والاتصال الثقافي الإيجابي بين الأمم والشعوب ولن يؤدي في نهاية المطاف إلا إلى مزيد من التعنت والرفض بل والمقاومة والتي قد تأتي أحيانا في صيغ عنيفة. وهذه النتيجة، هي التي تحقق لأصحاب فرضية صراع الثقافات رؤاهم في زج شعوب الأرض نحو مزيد من العنف والخراب.

إن واجب الأمم والشعوب اليوم هو العمل بكل الوسائل الممكنة والمتاحة إلى تعزيز الاتصال الثقافي والحضاري وليس الصراع الثقافي. وكما أن جميع الشرائع والقوانين تحمي الخصوصية الفردية، فإن على المجتمعات أن تحمي الخصوصية الثقافية لبعضها البعض. وإذا كان الفهم الخاطيء لمعنى الحرية لا يميز التعدي على خصوصيات الأفراد وحرمااتهم، فإنه بالمقارنة لا يميز أيضا التعدي على الأصول والرموز الأساسية للثقافات الأخرى. وعلينا أن ندرك أن الألم لا يشعر به إلا من أدمته الرصاصة حتى نفهم لماذا تضج الشعوب عندما تنتهك ثقافتهم.

وكما بدأت، أختتم حديثي بكلمات للروائية معالي وزيرة الثقافة الفرنسية في مقابلة لها مع قناة Euronews العربية عقب مهرجان كان السينمائي في ٢٢ مايو من هذا العام. تقول فيلبيتي :

"بالنسبة لي الثقافة ليست فقط التنوع، بل هي ذلك الشيء المهم لحرية الافراد، نحن بحاجة ماسة اليها وهي مهمة بالنسبة لكل انسان، والثقافة أيضا ثروة اقتصادية كبيرة"

"الورقة التي قدّمها الشقصي في معهد العالم العربي بباريس في حفل افتتاح فعاليات القافلة الخامسة ٢٠١٢م"

ملحق ٣:

قراءة في نصوص ماهرة قديمة

د. محمد بن مسلم المهري

توطئة:

... القراءة ارتياد لمجهول يسمى "نص" ولا بد لهذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر من أدوات تضيء زوايا ذلك المقروء، إلا أن القارئ عليه أن يمتلك الكثير من الثقافة التي تؤهله إلى الولوج في فضاءات النص، لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بلغة شفوية قدر لها أن تكون حبيسة الأفواه لقرون عدة كالمهرية.

وهذا ما جعل الباحث يقدم على هذه القراءة بالكثير من التوجس والخوف؛ كون فعل القراءة يهدف إلى بعث الروح التي تعمل على كسر ذلك الحاجز أو إذابة ذلك الجليد الذي حال دون فهم هذه اللغة وارتياك مواطنها الجميلة إلا أن الأمل لم ينقطع في إيصال هذه الرسالة ولعل هذه القراءة بعضاً من الأمل.

وجرياً على النهج الأكاديمي فإن الباحث سيتناول في ورقته هذه ما يلي:

تعريفاً للغة المهرية.

ثم فنون الشعر والنثر في المهرية.

قراءة نصين في الشعر ونص في النثر.

التعريف باللغة المهرية:

يقول الشاعر:

أُمُتْرِباً أَصْبَحْتُ فِي دَارِ مَهْرَةٍ أَلَا كُلُّ نَجْدِيٍّ هُنَاكَ غَرِيبٌ

فهل من سبيل لكسر صفة الغتمة عن أهل هذه اللغة وإبرازها للقارئ العربي بأبسط صورة عله يخرج من دائرة الغربة التي عناها الشاعر فالمهرية كلغة في نظري أصابها الحيف من جانبيين:

الأول : من أهلها الذي تركوا المجال واسعا للمجتهدين والناشئين كيما ينظروا لهم لغتهم التي ورثوها عن الأسلاف، ولم ينتدب لها أهلها بالدرس، والبحث، والتنقيب في جذورها كرد للجميل في أقل تقدير لهذه اللغة العريقة .

الثاني : وهي أن بعثات كبار المستعربين الذين يرجع الفضل إليهم في إخراج هذه اللغة من عزلتها إلى عالم التصنيف اللغوي، خرجت باجتهادات وضعت هذه اللغة في دوائر قد لا تمت إليها بصلة اللهم إلا القرب الجغرافي الأمر الذي أيقض الشعور لدى الباحثة العرب – على قلتهم – فصنفوا هذه الجهود على أنه دائرة أخرى من دوائر الاستعمار وهنا تأتي الطامة الكبرى وهي النظر إلى من يخوض في إضاءة المجهول في هذه اللغة على أنه مستعمر جديد يريد تفتيت هذه الأمة بأدوات خبيثة!! وهو ما حدى بالبعض الابتعاد عن دراسة هذه اللغة أو اتخاذ مبدأ التقية في دراستها، وهذا ملموس في البعثات التي تأتي المنطقة على أقلها في عمان وبالتحديد في ظفار .

وبالبعد عن هذين الجانبين والعودة إلى واقع اللغة المهرية فإن المهرة حافظوا على لغتهم من خلال الانعزال في الركن الجنوبي من شبه الجزيرة العربية في بيئة صحراوية وجبلية وعرة بالإضافة إلى الاهتمام بالأدب شعرا ونثرا وهما اللذان يضمنان استمرار أي لغة وانتشارها .

ونتاجا لهذا الانعزال تباين التصنيف للغة المهرية فالبعض ينظر إليها أنها :

لغة قديمة غير حميرية .

لغة حميرية غير عربية .

عربية قديمة .

عربية حديثة .

إنها عجمة .

وللحق أن الآراء أو التصنيفات السابقة تُعَدُّ إذا ما عدنا إلى أصل اللغة؛ كونها اللغة شفوية لم تحفظ من خلال النقوش أو الكتابة ومن هنا جرى هذا التبيان، وأقرب تعريف يكمن أن يستأنس به القارئ أنها :

(لغة عربية جنوبية قديمة تنتمي إلى مجموعة اللغات السامية)^(١)

(١) كامل، مراد، اللهجات العربية الحديثة في اليمن، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧م، ص ٥٠ بتصرف

حروف أو أصوات اللغة المهرية:

يبلغ عدد الأصوات المستعملة في اللغة المهرية ثمان وعشرون صوتاً كاللغة العربية الفصحى، بالإضافة إلى أربعة أصوات أو حروف صامتة ذات صور نطقية قديمة غائبة في الفصحى وباقية في اللغة المهرية وهي:

- شين - تلفظ جانبية بضغط حافة اللسان بين أسنان الفك الأيمن مثل: شخول أي اجلس.
 - القاف - تنطق برفع مؤخرة اللسان والتصاقها باللهاة مثل: بقريت أي بقرة.
 - السين المدموجة - سين تعادل في النطق بين الصاد والسين مثل نسويم يموه؟ أصائم اليوم؟
 - الضاد الجانبية - يعتبر من الأحرف الجانبية ونطقه بين فكي الفم مثل: فضات أي فضة.
 - ش - يعتبر من الحروف القليلة الاستعمال وهي بين الشين والضاد مثل: أكشوم.
- العسس.. شوباً / الأصابع

الأدب في اللغة المهرية:

من الضرورة بمكان قبل الخوض في قراءة النصوص أن نمهد للأدب في اللغة المهرية حيث يأتي على مستويات متعددة ويتبدى في أشكال كثيرة كان الشعر أشهرها ولكنه لم يكن أوحدها، ولست هنا للتأريخ للأدب المهري بمعناه العام أو الخاص ولكن يهمني من هذه العجالة أن أطرح أقسام الأدب في اللغة المهرية وهي كالتالي:

الشعر وأبرز ألوانه:

- ١- الدانادون (رجزيت) هي فن الحماس والإثارة والمواجهة يقتصر على الرجال دون النساء؛ لأنه شعر فصل ومواجهة يتطلب عناصر قوة وشكيمة... حيث يتواجه شاعران بصفين متقابلين، ثم تبدأ العلمية من نقطة "البدع والجواب" طبقاً للمناسبة وظروفها... القصيدة في فن "الدانادون" قصيرة لا تتعدى شطرين أو بيتين من الشعر عادة ما تكون في المدح أو القدح^(١)
- ٢- ريوي: هو شعر المطولات من القصائد بحيث تتعدى أبيات القصيدة عشرات الأبيات يؤلفها الشاعر بمفرده وقد يسردها نثراً ويلقيها بلحن تراثي حيث يبدأ الشاعر بمطلع

(١) آل حفيظ، علي محسن، من لهجات مهرة وآدابها، مطابع النهضة، مسقط، ١٩٨٩م، ص ٦٨-٧٠.

القصيدة ويرددها اثنان من بعده ثم يسترسل كل مرة بيت يعقبها الردادون وتنتهي الأبيات بقافية موحدة وهي مركبة تركيباً حسناً، "ويعتبر شعر الرّوي لدى المهرة - أقرب إلى المناجاة النفسية والتعبير عن لواعج الحرقرة والتألم من حيف الأيام وهو بالغ الرقة والرهافة وهو أقرب إلى الطرب مما جعله يُغنى بأعذب الألحان بصورة فردية أو جماعية ليس حكراً على الرجل بل للجنسين، وقد يكون في أغراض الشعر عامة من مدح وهجاء ورتاء وحكمة وغزل وأكثرها في الغزل وقصائدها هذه التي ترجمتها في هذا الفن".^(١) (مفردها رويت يقال فلان عنده رويت)

- ٢- فن اللولاي وهو فن من فنون الغناء غالباً ما يؤديه الآباء - أو الرجال عموماً - لهددة طفل يبكي عبر أشعار رقيقة سريعة الإيقاع، وفي شعر (اللولاي) حديث رقيق يوجهه الأب إلى طفله وهو مشحون بكل معاني الحب والحنان والنصائح ومكارم الأخلاق.
- ٣- فن هودوي كريم / سامعين وسامعين: فن من فنون المهرية يؤديه فرد واحد مع الردادين يسهب الشاعر في معاني عديدة سواء في المدح أو الهجاء أو الرثاء.
- ٦- يا هوبيل هوبيل: وهذا الفن من الشعر يلقي عند مورد الإبل ليستحثها لتوجه إلى المورد وأثناء الوصول المورد أيضاً من ضمنها أن يقول: ألا رحمهن إي هوبي. ألا وهيب إي هوبي... هيبن هوبي يابويا (بلحن جميل)

النثر وأبرز ألوانه:

الحكايات الشعبية.

الأمثال.

الأساطير. فلان يقتأين / يتطير.

قراءة النصوص:

القراءة هنا فعل اختياري وانتقائي في ذات الوقت، اختياري أنني اخترت هذا الفن (رّيوّي) الشعري من بين الفنون الأخرى الأنفة الذكر، انتقائي أنني أخذت من شاعرين جمعتني بهم لقاءات عدة، يضاف إلى ذلك غزارة شعرهما في هذا الفن من الفنون المهرية.

(١) المصدر السابق، ص ٧١-٧٢، بتصرف

على أن القراءة ستتناول الترجمة بالعربية، ومن ثم الجوانب الفنية والموضوعية التي يدور حولها النص، أملاً أن أوصل رسالة مهمة وهي جمال هذه اللغة.

ستكون البداية بنص للشاعر أحمد بن حجيران عموش المهري يقول فيه :

النص بالمهرية بعنوان : (المهاجس)

أَهْجَ سَاجُوسْ أَوْبُودِيَّ جَمُومَ.

اجْتَمَعُمْ لِي تَا بَرَهْمَ قَوْمَ.

وَإِذْ أَمَلَمْ وَأَذْ هَنِيَّ مَحْتُومَ.

أَحَدٌ لِي بِحَلِيَّ بَاصِرٌ يَدُومَ.

وَبَاضُ يَخْلِيفُ طَوْرَ دَا حَيُومَ.

وَيِيهِمْ ثَرُوهَ أَحْسَ دَا قَوْمَ

شَفَ بَرِ إِرْتَوِيَجَ وَبِيَّ ذَرْمُومَ.

طَدَ دَوْرَ حَرُوهَ تَا أَنْسِيْحُومَ. / تيبس من اليبوسة

وطد منعي من حال أكضوم / أكشوم/

ترجمة النص إلى العربية:

بوح

المهاجس والهموم تزداد

يتألبون عليّ حتى أصبحوا جماعة

وعقدوا اجتماعهم المحتوم عندي

البعض يأتي مساءً إلى آخر الليل

والبعض يأتي دوره في الصباح إلى آخر النهار

وبينهم اثنان أكثر دناءة من الجميع

إذ هما عليّ رأي، وفيّ توغلا

أحدهما سيطر على الرأس حتى جعله مبيضا

والآخر أنهك القدمين في السير

القراءة الأولى/

ثنائية الهم والحركة

الهموم والهواجس الطائفة بالإنسان في أخريات عمره جالبة للإحباط، ناهيك إن كان اجتماعها حتمية لا مفر منه؛ ولذا نجد القدماء أولوا مسألة الهم كثيرا من عنايتهم فأجالوا فيه الفكر نظرا لخطورته فهو:

”الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب.. والهمّ يطلق على الحزن الذي تطول مدته حتى يذيب البدن“^(١) ولذا يقول التوحيدي: ”الهمّ يهدم البدن وينغص العيش، يقرب الأجل“^(٢).

على أن الهم من دواعي الإنسان إلى الفعل من خير وشرّ، والدواعي مراتب: السانح ثم الخاطر ثم الفكر ثم الإرادة ثم الهمّ ثم العزم فالهمّ اجتماع النفس على الأمر والإزماع عليه“^(٣)

هذا الذي يهدم البدن وينغص العيش كان ولا يزال الإنسان يعمل على إزالته وهو ما لحظه ابن حزم حين قال:

”تطلبت غرضاً يستوي الناس كلهم في استحسانه وفي طلبه فلم أجده إلا واحداً وهو طرد الهمّ: فلما تدبرته علمت أن الناس كلهم لم يستوتوا في استحسانه فقط ولا في طلبه فقط ولكن رأيتهم على اختلاف أهوائهم ومطالبهم، وتباين هممهم، وإراداتهم لا يتحركون حركة أصلاً إلا فيما يرجون به طرد الهمّ ولا ينطقون بكلمة أصلاً إلا فيما يعانون به إزاحته عن أنفسهم... فطرد الهمّ مذهب قد اتفقت الأمم كلها مذ خلق الله تعالى العالم إلى أن يتناهى عالم الابتداء، ويعاقبه عالم الحساب، وهذه هي أغراض الناس التي لا غرض لهم سواها. وليس في العالم مذ كان إلى أن يتناهى أحد يستحسن الهمّ ولا يريد طرده عن

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله، الفروق اللغوية، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٢٩٧.

(٢) التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق، أحمد أمين وأحمد الزين، (١٥٢/٢).

(٣) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩-١٩٩٨م، ٩٦٠-٩٦١.

نفسه.^(١) ومن أشد مراتب الهموم فيما أرى هو الشعور ببدايات النهاية، هنا تتوارد إلى مخيلة الإنسان منقصات العيش وأهمها ذلك الشعور بأن الحركة اقتربت من العد النهائي، ولذا نجد الشاعر صاغ الواقع بتراتبية جميلة بداية بالحلقة الأولى:

حتمية اجتماع الهواجس والهموم وهنا أول بدايات الرضوخ للواقع المقبل بكل تبعاته.

الحلقة الثانية:

تناوب الحراسة على الشاعر صباحا ومساءً، وبذلك يكون الأمر نافذا لا محالة.

الحلقة الثالثة:

ملاحظة الشاعر لحارسين يتصفان بالدناءة من بين كل الحراس؛ ذلك أنهما لم يكتفيا بالحراسة الزمنية، بل توغلا بعيد في جسمه؛ وذلك في محاولة لإنهاء المهمة بالسرعة المطلوبة، وكان توغلها على مرحلتين:

أولهما جعل الرأس مبيضا، وهي قضية أرقّت الشعراء إذ لم تبكي العرب شيئا أكثر من الشيب وقد ألفوا في ذلك الكتب ذلك أنه ضيف ثقل يؤذن بذهاب الرونق وبهاء الرجل، الأمر الذي يبعده عن مراح الحياة والاستمتاع بها؛ ولذا أكثر الشعراء من ذكر الشيب يقول كعب بن زهير:

بان الشبابُ وأمسَى الشَّيْبُ قد أَرَفَا ولا أرى لشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلَفَا
عاد السَّوَادُ بِيَاضاً في مَفَارِقِهِ لا مَرَجَباً هَابِذَا اللَّوْنِ الذي رَدَفَا
في كلِّ يَوْمٍ أرى منه مُبَيَّنَةً تكاد تُسْقِطُ مِنِّي مُنَّةً أَسَفَا
ليت الشَّبَابَ حَلِيفٌ لا يُزَايِلُنَا بل لَيْتَهُ ارْتَدَّ مِنْهُ بَعْضُ ما سَلَفَا

وأظن الشاعر هنا ذكر الحارس الذي تولى الشعر حتى جعلها بيضاء يابسة إلا بكاء على الشباب والخوف من النهاية التي ستؤول إليه المرحلة الثانية.

(١) ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م، (١/٣٣٦).

المرحلة الثانية:

ذلك الحارس الذي أطلق رصاصته الأخيرة، وإن كانت غير مميتة ولكنه موت في من نوع آخر ذلك أنه عمد إلى الحركة فأوقفها فضرب أسفل الظهر بسهامه القاتلة فشل حركة الشاعر وهو في ذلك يذكرنا بالأمير أسامة بن منقذ الكناني حين بلغ الثمانين واصفا نفسه قائلا :

مع الثمانين عاث الدهر في جلدي وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي

ويقول أيضا :

فإذا نهضت حسبت أنني حامل جبلاً وأمشي إن مشيت مقيدا
أدرك الشاعر أن الحركة هي الحياة وأن الهم مقدمة لطلائع النهاية وأنها أحكمت الإحاطة به، وهذا يعني أن الأمور أخذت مأخذ الجد وعليه أن يتقبل هذا الواقع المرير كانت هذه القصيدة آخر اللقاء بالشاعر وكأنه يودعني بعد لقاء أحسبه حميميا رحمه الله رحمة واسعة.

أما النص الثاني للشاعر عبدالله أحمد مليط عامر جيد المهري وهو نص يحاور فيه الشاعر قلبه الذي أراد أن يتمرد عليه يقول فيه :

وَيَا قَوِيلِبْ لَا أَدَّ لِي تَظْلِيلٌ.
تَخْصِي بِشُورْ ذَا لَهْهَ مَقِيلٌ.
تَقْلَبْ يَوْمَهُ قَنِيُونْ وَطْفِيلٌ.
لَا أَدَّ هُوكْ رَمْسُونَا ضَيْرَ أَجُودِيلٌ.
تَا مَيْتْ صَبْحِي بَا ضَوْ أَهْلِيلٌ.
لَعَيْتْ وَكَاثْ ذَا لَهْهَ مَحْفِيلٌ.
وَخُرُونْ لَحْلِسْ بَرِي مَرْتِيلٌ.
تَا لَوْ ذَا تَلِيكَ أَدِي لَضَوِيلٌ.
لَعَلِيقْ أُولُوفْ مِنْ دَوْمَهْ أَجِيلٌ.
إِذْ هَمْ أَخْطِيكَ، إِغْلَطْ إِكْمِيلٌ.
يَنْصَحَمْ تَكْ، وَيَهْدِيلٌ.

وَأَتِ إِجْهَدَكَ هَهُم، إِشْهِيلُ.
 ترجمة إلى العربية (أيها القلب)
 أيها القلب لا تسلمني إلى متاهات الطريق
 لا تنتقي الخيارات المرفوضة
 دعني من الزمن الماضي
 أيها القلب
 لا تطالبني بالسهر على موقد النار
 انتظر ذلك النجم الذي يأذن بذهاب الليل
 لا لن استمع إلى تباريح المحبين الفاشلة
 ثم أخرج منها صفر اليدين
 لكن تجتاحني بعض الأحلام
 في لقاء خل وفيّ
 الذي يعرف حق الصديق
 نعم أولئك الذين يبصرونني عند الخطأ
 فينبرون درب الحقيقة
 هم وحدهم أهل أن يستوطنوا أعماقي

القراءة الثانية/

مسار قلب:

القلب تلك المضغة التي عليها مدار الكثير من المسارات، وقلوب الشعراء أخيلة
 مجسدة تتخطى المراحل، وتتمرد على الزمن، وهو ما عناه شاعرنا في خطابه لقلبه الذي
 أراد أن يأخذه في غفلة من الزمن ليمارس طقوسه دون أن يعبأ بدوائر الرفض العقلية له.
 على أن الشاعر يدرك طبيعة الصراع بين المراحل الزمنية التي لا يعترف بها القلب،
 فقرر أن تكون هناك نهاية لذلك الصراع بالجلوس إلى طاولة الحوار التي تقف على مرتكزات
 أهمها: أن العروض التي يطرحها القلب لم تعد صالحة لمستواه لأنها حتما ستعود بـ

(تَظْلِيلٌ + بَشُورٌ ذَا لَهُهُ مَقْبِيلٌ + تَقْلَبُنْ يَوْمَهُ قَنِيُونُ وَطَفِيلٌ + رَمْسُونَا ضَيْرَ أَجُودِيلٌ . = وَخُرُونُ لَحْلُسَ بَرِيٍّ مَزْتَلِيلٌ .)

متاهات الطريق + الخيارات المرفوضة + زمن الطفولة + السهر على موقد النار محتسي
تباريح العشاق = يخرج صفر اليبدين .

من هنا وجب على الشاعر أن يقف أمام الأمانى وأن يعيدها إلى مراحلها التي تليق بها ، تلك المراحل التي تتلذذ بالعذابات والسهر في سبيل المحبوب ، ولذا يقول ابن حزم : ” والسهر من أعراض المحبين وقد أكثر الشعراء في وصفه وحكوا أنهم رعاة الكواكب ووصفوا طول الليل ”^(١)

لم يكن الشاعر بإعادة القلب إلى مساره الصحيح رافضا لكل معطيات هذا الجيل إذ يراوده حلمٌ بجلٍّ وفيٍّ يعرف حق الصداقة من هنا يقول الثعالبي : الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث العينين ... لقاء الصديق روح الحياة ”^(٢)

وهو مقارب لقول ابن حزم في وصف الصديق قائلا :

”ومن الأسباب المتمنة في الحب أن يهب الله عز وجل للإنسان صديقا مخلصا ، لطيف القول ، بسيط الطول ، حسن المأخذ ، دقيق المنفذ ، متمكن البيان ، مرهف اللسان ، جليل الحلم ، واسع العلم ، قليل المخالفة ، عظيم المساعفة ، شديد الاحتمال ، صابرا على الإدلال ... مبذول النصيحة ، مستيقن الوداد ، سهل الانقياد ... واسع الصدر ، متخلقا بالصبر ... ويستريح إليه ببلايه ، ويشاركه في خلوة فكره ، ويفاوضه في مكتوماته ، وإن فيه للمحب لأعظم الراحة ، وأين هذا؟؟؟”^(٣)

الملاحظ أن الشاعر لم يك ليقبل بالصداقة كرابط مقدس لولا المواصفات التي يرجو أن تتحقق فيهم وأهمها :

(إِذْ هُمْ أَحْطِيكَ، إِغْلَطُ إِكْمِيلُ يَنْصَحَمْ تَكُ، وَيَهْدِيلُ ... وَأَتِ إِجْهَدَكَ هِمَمْ، إِشْهِيلُ .)

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي . (١٠٨/١)

(٢) الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، اللطائف والظرائف ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ص ١٤٦ .

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسي . (١٦٣/١)

(أولئك الذين يبصرونني عند الخطأ... فينيرون درب الحقيقة... هم وحدهم أهل أن يستوطنوا أعماقي)

وكان الشاعر يعني قول صفي الدين الحلي حين وصف صديقه الوفي :
لي صاحبٌ إن خائنِي دَهْرِي وَفَى ، وإذا تَكَدَّرَتِ المَنَاهِلُ لِي صَفَا
تَبْدُو مَحَبَّتُهُ وَيُظْهِرُ وَدُّهُ نَحْوِي إِذَا مَا الْوُدُّ بِالْمَلَقِ اخْتَفَى
أَجْفُو ، فَيَمْنَحُنِي الْمَوَدَّةَ طَالِباً قُرْبِي ، وَأَمْنَحُهُ الْوُدَادَ إِذَا جَفَا

الجدير بالذكر أن جملة الشرط وجواب الشرط حددتا المهام التي من أجلها رغب الشاعر بهذه الفئة من بين الناس، كما أن الفعل المضارع لعب دوراً ملموساً لإعطاء الحركة والتدفق.

وهكذا يكون الشاعر عبدالله أحمد مليط قد عبر بالشعر المهري بما عبر عنه أديب العربية الجاحظ حين قال: "... فلا تكونن لشيء في يدك أشدَّ ضناً، ولا عليه أشدَّ حبا، منك بالأخ الذي قد بلوته في السراء والضراء، فإنما هو شقيق روحك، ومستمد رأيك، وتوأم عقلك، ولست منتفعا بعيش مع الوحدة، ولا بد من المؤانسة"^(١)

وأخير فقد أفدت من سماع هذا النص حين أنشده الشاعر بنفسه أمامي وقمت بتسجيله وكنت بين لذتين لذت السماع، ولذة المعنى فالقصيدة كما – يرى الدكتور عبده بدوي – عرس لأشياء كثيرة، وهي بهذا تقتنص العين والنفس معا.

فنون النثر في اللغة المهرية:

أما النثر فإن الباحث سيقصر على فن الحكاية الشعبية هو "حدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر على أن هذا الحدث ليس مقصوراً على فئة بعينها، أو محصوراً في جماعات محدودة؛ ولكنه حدث عام أساسه الإنسان، ومسيرة التطور التي مر

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة،

ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (١)/

بها ومجموع الوقائع، والأحداث، والمفارقات التي عاشها^(١).
 إن هذا المزيج الثري من حكايات شعبنا هو مما يجيش في صدور رواتهم وحفاظهم الذين نقلوا لنا كل ما سمعوه، وحفظوه عن الأجداد، والعلماء، والرحالة من حكايات البحر، والبادية، والجبال، والجن، والسحر... الخ لعلامة مميزة لعقول مبدعة في خيالها وأفكارها، وانطلاقتها في كشف الغوامض التي لا يستطيعون تفسيرها؛ مما حدى بهم إلى وضع كثير من مجريات الكون الغامضة تحت منظار الخيال الخصب.
 حكاية كنز وادي نظور^(٢) تروي حادثة تاريخية جرت في مكان معلوم وزمن مجهول، ذلك أن الحكاية وإن كانت حقيقة في أصلها تعتمد سنداً من أرض الواقع إلا أن أيدي المخيلة الشعبية قد طالت كل فضاءاتها، والعقل الشعبي إذ يلتقط الحادثة التاريخية فإنه لا يمررها دون أن يضيف عليها بعضاً من النوازع والأهواء كان ذلك سلباً أو إيجاباً.
 وفي ما يلي نص حكاية من النصوص المهرية بعنوان (الكنز الدفين أو مغارة الكنز) وهي منقولة من كتاب (نصوص مهريّة عمانية) للبروفسور ت. م. جنستون. رقم النص ٨٨. علماً أنها أي الحكاية مقيدة في كتابي (حكايات شعبية ظفارية) ولكن برواية أخرى. ترجمتي.

الكنز الدفين (قصص القبائل)

مرة رجال أرادوا الكنز المدفون في قمة جبل لا يستطيع أحد الوصول إليها إلا بالدرج، ويقولون أن هذا الكنز يحرسه الجن، كان هناك ثلاثة من المهرة ورجل عفاري. بعدها أتوا رجلاً، قال: أنا أمتلك كتاب يمنع الجن والإنس وإذا أردتم الذهاب إلى الكنز فإني سأقرأ حتى أمنع عنكم الجني.
 قالوا: نريد، قال: ولكن لي النصف من الكنز، قالوا: موافقين، ذهب الرجال وهو معهم حتى وصلوا صنعوا الدرج وطلعوا حتى وصلوا.
 الرجال حفروا والشريف أو الشيخ يقرأ لهم ليلتين وفي اليوم الثالث ظهر له لمعان الكنز، ووجدوا خواتم الذهب ووجدوا الفضة.

(١) الحمدان، آمنه راشد، أشكال الفنون الشعبية العمانية، حصاد أنشطة المنتدى لعام (١٩٩٢-٩١)، مسقط، ص ١٠٨

(٢) وادي (نظور) يقع بالقرب من نيابة بربزوم بمحافظة ظفار وهو وادي كثير الماء والأشجار. المؤلف

حينها قال العفاري: الرجل الذي يتمتم في أسفل الوادي ليس له من الكنز إلا مثلنا سمعهم الشيخ وغضب وأغلق الكتاب.

وهم على تلك الحال جاءهم الجني قال الرجال: جني من الحية ولكن ضخامته مثل ثلاث رجل وبه قرنان.

أما الرجال المهرة نزلوا على الدرج وأما العفاري فقد أسقط نفسه من أعلى القمة إلى أسفل الوادي فمات.

ونزل الرجال وحملوا وكانوا يغنون:

”رجل من العفار مات“

”انكسر حوضه“

”وأخذوا إلى أعلى الوادي“

”حتى إلى قمة أخرى“

وقبروه وحتى الآن قبره معروف.

أما الجني فقد ضرب براسه صخرة عظيمة وسقط في الحفرة التي كان الرجال يحفرونها.

هذه القصة حقيقية ووالدي قد رأى المكان الذي فيه الكنز وحفر مع الناس ووجد بقايا وعاء فخاري والمكان في وادي ”نظور“ واسم القمة ”قربتي“.

ويقولون أن الانجليز قد رأوه، ولكن لا أعلم إن كان هذا الأمر صدق أم كذب أما المكان به الكنز معروف ومؤرخ ولكن لا أحد يستطيع أن يقترب.

هذه القصة وتمت وهي صدق^(١).

Treasure trove

- Once some men hear of a treasure in big cave. Nobody could get up to that cave except by ladder they said that a jinnee guarded the treasure.there were three mehris and an ifari.
- Then a men came to them, who said ” I have a book which keeps away men and jinn and if you want to go to treasure, I will recite and keep the jinnee away from you“

(١) Mehri Texts from Oman,otto Harrassowitz,wiesbatea 1999 T.M. Johnstone

- They say," we want to." He said, "but I want to have half the treasure" they said " all right "
- The men want and he was with them. When they came, they cut a ladder and climbed up till they reached it.
- The men dug and the "sharif" recited to them for two days. On the third day they saw a sign of the treasure. they found golden rings and the found silver.
- Then the ifari said:" that men mumbling down there will be just like anyone else."(i.e.:is he going to get the same share as we)then the "sharif" heard him and was angry and shut the book.
- While things were so , ajinnee came." The jinnee was like the a snake, but its thickness was like that of four men and it had two horns."
- As for the mehri men ,they got down the ladder.as for ifari ,he let himself fall till he was in the valley with his bones shattered.

The men went down and carried him on a bier, singing:-

"one of the Ifaris has died"

" His little pelvis is broken"

" Take him up"

" To the little mountain "

And they buried him. His grave is visible up till now.-

- Now the jinnee suddenly pushed a big rock with his head and made it fall into the hole where the men had been digging.
- This is a true story and my father saw the place where the treasure was. He dug with people and he said, "we found a milk-bag " The place is in the valley of "nez,awr" and the name of the cave is "karbati"
- They say the English have seen it, but I don,t know if that is in the truth or a lie.As for the place where the treasure is, (this place) is (quite)famous, though nobody dares to go near it.

The story is ended and it is true. -

تحليل النص:

تمثل الحكاية جانبا كبيرا من النظرة النمطية التي نشأت لدى الكثير من الظفاريين إزاء العلاقة التي تربطهم بتلك الوديان النادرة في منطقة نجد ، والتي تقترب من مصادر الثروة في ذلك الزمان وهي تجارة اللبان حيث نسجت حولها الأساطير التي تبعث الخوف في كثير من أحوالها ؛ لذا نجد الجن حارسا لها تارة والمرض تارة أخرى ، ويحدث ذلك من خلال الحكايات المتواترة بين فئات الشعب ، والمسميات التي تحمل في مدلول اسمها نوعا من الخوف كوادى يسمى (دواء من العافية) ويكفيك هذا الاسم خوفا ولعل ذلك مرده إلى حقيقة ذلك الوادي الوبائي أو أنه صعب عليهم تفسيره فأحاطوه بقداسة مرضية جعلت المتجه إليه يحسب ألف حساب عندما يقدم عليه ، هذا بالنسبة للمرض فما بالك بالكنز وبريق الذهب؟؟.

ولا يزال كنز نظور غامضة من غوامض تراثنا ، الكل يريد الكنز ولكن من يفك الرموز ويحيد التتممات التي يجيدها الشيخ كيما يسد الحراس ، ولعله لم يكن هناك من كنز في أصله ، إلا أنه يظل في النفس ما فيها !!!

يقوم مضمون الحكاية السابقة على إعطاء العبرة والعظة ، فالرجال الذين قرروا استخراج الكنز ، والتعاقد مع القارئ (الشيخ) والعهود والمواثيق التي أبرموها بينهم لم تجد نفعا أمام بريق الذهب من الوهلة الأولى ، والشيخ الذي أحس الغدر فعرف أن المواثيق طويت في بداية المشوار وأن العهود مظهر خارجي لم يغير من طبيعة الإنسان وسلوكياته المعتادة فكان جزاء الغدر بالعهود الموت ... وهنا يظهر عنصر التربية على الأخلاق في نقد سلوك اجتماعي من خلال هذه الحكاية.

العناصر الفنية للحكاية:

تقوم الحكاية الشعبية على مجموعة من العناصر الفنية وهذه العناصر هي :

★ الشخصوس:

يظهر في الحكاية السابقة الشخصيات التالية : المغامرون ، والشيخ القارئ ، تركز الحكاية أحداثها على شخصية الشيخ القارئ ، وتعامله مع المغامرين ، حيث يظهر الهدوء والوقار في تنفيذ ما وكل إليه من مهام في صد الجان عن الكنز بعد حراسة دامت مئات السنين !!! والسؤال ما نوع الكتاب؟ وما هو الطلسم الذي فكاه الشيخ دون الشيوخ على

كثرتهم في ذلك الزمان؟؟ ثم المغامرون الذين سقطوا في الاختبار الأول، فكان جزء بعضهم الموت، وفي بعض الروايات أن الجن أكلتهم بعد أن طوي الكتاب، من طبيعة الشخصية في الحكاية الشعبية أنها غير مضاءة بكل أبعادها كالشخصية الروائية، وذلك لسببين: لأن الشخصية في الحكاية الشعبية نمطية تؤدي فكرة عامة.

ولأن الحكاية رمزية تستخدم للوعظ والإرشاد بطريقة غير مباشرة، تشبه إلى حد كبير قصص ألف ليلة وليلة.

★ الأحداث والعقدة:

تتشكل الحكاية السابقة من حدث واحد، ويتدرج للوصول إلى العقدة، بدءاً من قرار استخراج كنز وادي نظور، ولقائهم بالشيخ القارئ، والتعاقد معه على تقسيم الكنز بينهم مناصفة، والرحيل إلى الوادي، والبدء بعملية الحفر بعد أن جعل الشيخ يتمم بالرقية المشهورة لدى ليفرق حراس الكنز من الجن والمردة، وظهور طلائع البريق الذهبي، كلها توصل إلى ما يشبه العقدة التي تظهر في إعلان الغدر، وما صاحب تلك العبارات التي تبطن الإخلاف بالعهود، فطوي الشيخ كتابه وقطع القراءة، وترك المغامرين لمصير نهايته الموت لبعضهم والذعر للبعض.

★ الزمان والمكان:

لا تلجأ الحكاية الشعبية إلى تحديد الزمان والمكان في أغلب الأحيان، إلا أن حكايتنا اعتمدت المكان دون الزمان وذلك لما يحمل مدلول المكان من قدسية تجعله في منأى عن أنظار المغامرين، أما الزمان ليس ضرورياً تحديده في هذه الحكاية لتكون صالحة لكل الأزمنة، بعبرتها ونقدها للسلوك الاجتماعي المتناقض الذي يعاني منه الكثيرون. وكذلك المحافظة على قدسية المكان عبر الأجيال لتظل علامة استفهام وبحث وراء حقيقة أو سراب كواقع الصحراء التي تحيط بالوادي.

★ اللغة في الحكاية الشعبية:

على الرغم من التي تقدمها الحكاية الشعبية للطفل من القيم وسعة الخيال، إلا أنها قد تكون عائقاً لغوياً، ذلك لأنها تبنى على اللغة (المهريّة / الشحريّة) مما يعزز عند الطفل اللغة العامية، فتراجع اللغة الفصيحة، والأمر قد يكون مختلفاً في محافظة ظفار عن غيرها من

يتكلم بالعامية الداريجة في سلطنة عمان والوطن العربي مجمله ؛ذلك أن العامية الظفارية تنتمي إلى لغات جنوبية موغلة القدم تختلف في أكثرها عن العربية العامية والفصحى مما يجعل التخلي عنها أي العامية الظفارية شبه معجزة وما يرافق هذه المعجزة من ترجمة للحكايات التي قد تخل ببعض البنى السردية في الحكاية التي تروى باللغة (المهرية / الشحرية). علما أن الحكاية في ظفار ليس لها مقدمات كما توجد في الخليج العربي أو الشام من الصلاة على النبي وغيرها من المقدمات المتعارف عليها بين جماع الحكايات الشعبية إذ يكتفي الراوي بقول (يقولون أو قال النواخذة أو مرة من المرات ” خطر ” وما يقال عن المقدمات يقال الخاتمة

ملحق ٤:

نحن والفرنسيون مستهدفون في ثقافتنا

د.علي ثويني

لابدّ من الإقرار بأن للثقافة الفرنسية سطوة وتداخل مع ثقافتنا العربية، وقد تسنى لنا الإطلاع عليها عن كثب، مستنتجين بالمقارنة والمقاربة مدى سطوتها على ثقافة المغاربة وأقل من ذلك على المشاركة، التي تشكل عمان طرفها الجغرافي ومنتها النابض المبادر. ولا يمكن ان تنأى الثقافة العمانية عن التجاذبات والإستقطابات التي تفرق الفرقاء الذين تنافسوا بالوصول إلى بؤر بعينها، دار السجال خلالها بين مسيسي الثقافة ومنتقفي السياسة. لكن بالمحصلة أمست الثقافة والسياسة مسلكين مشروعين لربط الأواصر وتجسيد المصالح، وبالنتيجة فإن إدراك ذلك الحراك يوحى بفطنة وكياسة وبعد نظر نفتقده عندنا في الثقافة والسياسة. فما فتئنا ان نبقى في حالة الدفاع والقبول أكثر من الرد والمبادرة والإقبال. لذا فإن نقل التجارب الثقافية بإطارها السياسي الدبلوماسي إلى عقر ديار الغربيين يعني ضمنا ومنظور مستقبلي، كرا ثقافيا.

ورغم إنفتاح أنساق التواصل والإطلاع المعرفي، لكن مازال تحكم الكثير من الغربيين توجهات وأراء مسبقة وسلبية جاهزة عن ثقافتنا العربية، كانت قد مررت خلال حقبة الدعة الحضارية لدينا، واشاعها رهط من المستشرقين وأججها وكرسها رهط من المستغربين. لذا فثمة إستعلاء ثقافي لدى الغربيين، ونزعات جامحة لمركزية تربط السياقات كلها في مجراهم، وكذلك شعور ضمني بدونية ثقافية لدى النخب في الثقافة العربية. ولا نبالغ إن صنفنا القوافل الثقافية العمانية إحدى المبادرات الناجحة لنقل الحقيقة ودحض التشويه والإلتباس وإيصال رسالة فحواها أن الناس للناس، وأن الثقافتين والإقتباس من سنن البشر، وإن قدرنا بالإقتباس اليوم يقابله بالتمام وبشكل عكسي كان قد حدث في العصور الخوالي. حيث نقرأ عن إنبهار شارلمان بساعة بغداد المائية التي ظنها مسكونة بالعفاريت، بحسب ذهنه المترع بتخلف القرون الوسطى. ورغم المآرب التي تكتنف تلك الحادثة ذات الدلالات بتأمر الرشيد ضد أمويي الأندلس، والتي قابلها تأمر أموي أندلسي مع البيزنطيين ضد خلفاء بغداد العباسيين. ورغم ذلك لكن لتلك المبادرات أثر دبلوماسي باق ورامز يوحى الكثير من الفجوة الحضارية التي أنقلب كالأرجوحة.

وهنا جدير أن نذكر بأن بدايات الثقافة الفرنسية أو الأدب الذي بلور ثقافة أمست بعد ألف عام من أكثر الثقافات العالمية فعالية وأثر. وهنا جدير أن نذكر بقصة أو أسطورة (رولاند)، التي تعد إحدى الدالات المؤسسة لتلك الثقافة. وهذه القصة جاءت من حدث تأريخي غريب، حيث أن الفرنسيين هاجموا إسبانيا الإسلامية طمعا في كسب أراض وبجحة الحمية الدينية. وتذكر التواريخ بأن ثمة شخصية إنتهازية من مسلمي الأندلس يدعى (سليمان بن يقضان الأعرابي)، تحالف عام ٧٧٨ م مع شارلمان ملك فرنسا لمساعدته في إحتلال شمال إسبانيا ولاسيما (سرقسطة) و(برشلونة)، مقابل إقطاعه إمارة فيها^(١). وقد أسر سليمان الأعرابي من طرف شارلمان حينما أحس بأن ثمة خديعة وحدث أن اقتكه أولاده بعد أن هاجموا جيش شارلمان حينما يتوسط ممر جبلي ضيق، ولاسيما حينما تتوسط خوانق (رنشالة) الضيقة. فعادا به إلى سرقسطة. وقد أثرت تلك القصة بالأدب الشعبي الفرنسي، حيث أن مؤخرة الجيش كان يقودها فارس من إقليم (بريطانيا) يسمى (هردولاند)، ويعرف برولاند Roland، حيث انقض العرب مع حلفائهم البشكونس (الباسك) عليه وجماعته وفرقوهم بالرغم من البسالة التي ابداه، وهذه الاحداث كانت مادة دسمة لخيالات التأويل الشعبي، وصيغت بأسم (رولاند) المشهورة، ومعظم أحداثها لاصلة لها بالواقعة التاريخية، وعكست تصور الناس ولاسيما في جنوب فرنسا العدائي للمسلمين وعقيدتهم، وهذه الملحمة تعد حجر الأساس في تكوين اللغة الفرنسية^(٢).

وهكذا فإن قرب فرنسا المتوسطي من الثقافة العربية ولعبها دور المعبر الثقافي للغرب إبان وجود العرب في إقليم البروفانس وجنوب فرنسا، الذي وطأ منطقة (بواتيه)، والتي تعد مكان متقدم جغرافيا في وسط اوربا الغربية. ومن الطريف يذكر بعض المؤرخين في سياق الإقتباسات، أن غنج اللسان النسوي (قلب الرء إلى غاء) الذي شاع في بغداد أيام عزها في القرن التاسع الميلادي، تسنى له الإنتقال إلى قرطبة، ثم حملته بعض النسوة إلى الشمال وشاع باللهجة الباريسية، ومكث حتى اليوم ووطأ شمالا حتى الدنمارك واسكونا

(١) إبن الأثير - الكامل في التاريخ - ج ٦ - ص ٥.

جدير أن نشير هنا إلى أن تحالفات المسلمين مع "أعداء الإسلام" قد ورد تكرارا، وهنا قصة العلاقة الملتبسة بين شارلمان الفرنسي النورماني مع هارون الرشيد العباسي، وذلك من أجل التحالف ضد الدولة الأموية في الأندلس، والأمر عينه فعله الأمويون في الأندلس، حيث تحالفوا بالمقابل مع بيزنطة ضد الدولة العباسية، وما أشبه الأمر باليوم، وفي ذلك عظة لذوي الألباب.

(٢) د. حسين مؤنس: معالم تأريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد ٢٠٠٩ - ط ١١ - بيروت.

السويدية بعد قرون . ولا يمكن أن يغفل التأريخ عن إسهامات (زرياب) ورعيه القادمين من بغداد وهي في أوج أدائها الحضاري لتسبغ فن اللياقة (الأتكيت) على تلك الديار، ومكث فيها حتى اليوم حتى بدت وكأنها رائدة بعدما تناست الايام جذوره القادمة من ثقافتنا .

واليوم يمكن رصد التطور الذي واكب الثقافات المغاربية عموماً وذلك من جراء إتقانهم للغة بلزك (الفرنسية) بشكل يزيد على أخوتهم من المشاركة، ولاسيما في الشام . وربما إنعكس هذا الأمر في فهمهم للكثير من الدراسات الفلسفية التي تحتاج إلى لغة رصينة ومفاهيم بعينها تملكها اللغة الفرنسية، وهذا ما تداعى أن يظهر المغرب قدرة فلسفية أعلى من المشرق، وتسنى له أن يصنع رموز في الحداثة الفلسفية المتداخلة مع مناهج الفكر الديني، كما عند ابن نبي والجابري وأركون، على عكسنا في المشرق الذين كان جل حدائيننا تائهين بين مشارب شتى، ولم تبلور مفاهيم فلسفية مؤطرة . كذلك رصدنا بالتجربة أن اليسار المغاربي جاء أنضج من أقرانهم في المشرق، ونعزي الأمر إلى أنهم قرءوا النص الماركسي من أصوله في اللسان الفرنسي . أما لدينا فقد أعتمدوا على الترجمات الروسية المشوهة عن الأصل الألماني أو الإنكليزي أو الفرنسي . ومن جراء نزوح الحس اللساني، تسنى لهم موائمة الكثير من مفردات الفكر على مجتمعاتهم وذاتيتهم الثقافية .

اللغة والثقافة الفرنسية اليوم تعاني تراجع أمام الزحف الكبير للإنكليزية الأمريكية، رغم شعور الفرنسيين بذلك منذ نهايات القرن التاسع عشر، لكننا اليوم يمكن أن نساند مشروع الإرتقاء بشيوع الفرنسية، ويمكن أن تبادر الجهات الفاعلة بتقديم العون بهذا الإتجاه، من أجل الإطلاع الاوسع وقراءة الكثير من أرشيفنا الكامن في ثراء وثائقهم، متحاشين قدر الإمكان الخلط بين الثقافة والسياسة، التي أثبتت عدم جدواها في عالم اليوم، ولاسيما بعد التغيرات السياسية الدرامية التي حدثت خلال العقد الاخير، فعالمنا المنفتح الأنساق والداعي للتعاون الإقتصادي هو أولى وأجدى، ويمكن أن يرسم ملامح علاقات متكافئة بين ثقافتين يمكن أن يشكلا ثقلا عالميا يقف حيال العولمة الأمريكية التي تسعى إلى الهيمنة المطلقة، ونسخ ثقافات كثير من الشعوب . فالرهان على ذلك التقارب يمكن أن يثمر من مبادرات القوافل التي تسيّرهما السلطنة "قوافل أثير الثقافية" بمسعاها الحثيث للإرتقاء وتمثيل الثقافة العربية خير تمثيل، بما يجعلها قدوة مستقبلية لمبادرات عربية أخرى تتعاضد لتشكل الوزن المرتجي لمنزلة وقدرة تلك الثقافة .

ملحق ٥: المسرحية ضجة في منزل باردي

تأليف: عبدالرزاق الربيعي

{ يقسم المسرح إلى قسمين، قسم علوي ويمثل الخارج وقسم سفلي يمثل داخل البيت، يربط الداخل بالخارج باب وسّم صغير... يجلس في القسم السفلي رجل في الخمسين من العمر... يرتدي بدلة أنيقة وكأنه بانتظار ضيف ما، صوت سفينة وأمواج في الخارج... ساعة على الجدار تملأ المكان "بتكاتها" الرجل يجلس على كرسي هزاز يقرأ غي مخطوطة "فصل في الجحيم"..... لرامبو {

الرجل (يقرأ في المخطوطة): فليقبل... فليقبل

الزمن الذي نتعشقه

مثل المروج عليها

النسيان انسدل

نمت وازدهرت بالبخور

فليقبل... فليقبل

الزمن الذي نتعشقه

(صوت سفينة يبتعد)... لكن لاشيء سوى الوحل والطحلب والفراغ... (يواصل القراءة) ماذا يتبقى للغصن الناحل إذا جرفته الأمواج بعيداً عن اليابسة؟ إذا أسلمته اليابسة لأعماق البحر... هذا هو حال الساعة العاطلة على الجدار (ينهض... يخلع ربطة عنقه) بهذه الرتابة تغادر سفينة الحياة... ولا شيء... لماذا أضع عيني في عين نجمة شاردة؟ هكذا أسأل نفسي في ساعات الصحو... ولكن ما الفائدة؟.....

وحل... البياض وحل نظيف.... الهواء كذلك.... الذاكرة وحل أيضاً... الأمس وحل... وحل... وحل... وحل....

(يذهب إلى رف كتب... يخرج مسدساً... يزيث أجزاءه ويصوب نحو الفراغ....
يصرخ)

لا... لا أريد أن أتذكر هذا... أبداً... لم أكن أقصد إيذاءه... لم أتصور أن يده
التي تكتب هذه الكلمات تتلوى مثل عصفور ذبيح مبلل بدمه... لكن الرصاصة
اللينة انطلقت مثل الشهوة... واخترقت يده... ورصاصة واحدة كافية لإخراج
المرء من الفردوس... فردوس المحبة... في المحكمة قال لي الحاكم: أنت متهم
بالشروع بقتل صديقك الشاب وإصابته بيده... فضحكت... ضحكت...
محامي الدفاع... الشهود... ضحكت... التهمة... الصحافة... الكل يسأل عن
السبب؟... السبب الكامن وراء جريمة كهذه... رجل يستضيف شاعراً شاباً في
منزله... يقدمه لعروسته التي تحتفي به أيضاً..
تحتفي كثيراً... تحتفي أمام أنظاره... تحتفي... فجأة... يسافر معه... يهجرانها...
يستمران في رحلتهم... وذات يوم يتشاجران...
ترتفع أصواتهما...

أصوات رصاص... صراخ... بوليس..

الحاكم: حكمت المحكمة حضورياً بالسجن لمدة سنتين مع الأشغال الشاقة....

ضحكت... ضحكت... أما هو فقد خرج من المستشفى إلى قريته الوداعة بينما
ذهبت إلى السجن... بعد عامين من الظلام والندم خرجت أبحث عنها... عروسي
التي هجرتها... لم تكن هناك... أخبارها مقطوعة... انتقلت إلى مكان ما، لم يكن
المكان في مكانه... انتهى العرس... وتفرق الضيوف... واندمل جرح يده... لكنني
لم أندمل... بحثت عنه... عنها... عنهما... عني... حتى

وصلتُ إلى هذا المكان المهجور... هذا البيت النابت على البحر

المخضب برائحة السمك والحبوب والذكريات...

صوت امرأة (تغني): إن كان قد بقي

مدفع عتيق بين حصونك المحطمة

فأقذفنا بالجلاميد

واقذف زجاج المتاجر الفاخرة

والقاعات....

دس السمّ في السراب

وأحش المخادع ببارود

وياقوت متقد

الرجل: ما هذا؟ امرأة تغني بالفرنسية؟ أم... آه... إنها..... إنه الجحيم

يتسرب إلى الأعماق... الجحيم... من الذي...؟ كيف؟.....

(تطرق على الباب)

إنها تبحث عنه... الماكرة... سأعرف كيف أحطم حصونك

(يزداد الطرق)

عليّ أن أتحكم بطبقات صوتي... ها هو البحر يلقي بعروسه إلى اليابسة... ها هو

المساء يندمل... مرحى للبحر لأنه يتهجد الوقت جيداً..

(يستمر الطرق على الباب)

الرجل: مَنْ في الباب؟

(يسلط الضوء على الطابق العلوي.. تظهر امرأة في الثلاثين يبدو عليها السكر)

المرأة: أهذا منزل السيد هاردي؟

الرجل: نعم، ولكن لا يوجد أحد في الداخل

المرأة: أيها اللاأحد... افتح الباب....

الرجل: ماذا تريدین؟

المرأة: لدي سؤال حول شخص فرنسي يقيم في هذا المكان كلما وصل "عدن"

الرجل: قلت لك لا يوجد أحد في الداخل

المرأة: يبدو أنك لا تصدق أنني سيدة فتأخرت في فتح الباب فافتح البحر أيها الباب

الرجل: ماذا؟

المرأة: أعني افتح الباب أيها البحار

الرجل: لست بحاراً أيتها السيدة... ولسنا في سفينة... يبدو أنك شربت كثيراً

...أنت الآن على اليابسة

المرأة: أية يابسة؟ هل أُصبت بالصمم بحيث لا تسمع صراخ الموج عندما ينطح الصخور...؟ إن روح البحر تنتشر حول الساحل بكيلو متر...

الرجل: صحيح أن السكارى شعراء بالفطرة

المرأة: أما تزال تعتقد أنني جنية؟ فلم تفتح الباب له أيها البحار الخائف من ظله

الرجل: قلت لك لست بحاراً

المرأة: يبدو أن البحر أقالك من ظهر موجة فأصبحت حارساً لهذه الوكالة....

الرجل: هل أنت تاجرة حبوب؟ لقد سافر الجميع إلى "أثيوبيا" وذهب الحارس إلى منزله منذ أسبوعين

المرأة: إذن لماذا اختبأت في هذا الجحر الموحش أيها الفأر؟

الرجل: يُحسن بك أن تهذي ألفاظك أيتها السيدة... يبدو أنك تناولت الكثير من الشراب والطعام والأشعار

المرأة: الأشعار؟

الرجل: نعم

المرأة: وماذا يفعل رجل مثلك في كتب الأشعار؟

الرجل: أظهر نفسي من أدرائها

المرأة: يطيب لي أن أقاسمك مائدة الشراب والأشعار

الرجل: إذن اتفقنا

المرأة: ولكن افتح الباب أولاً

الرجل: قلت لك لست حارساً

المرأة: إذن لماذا أنت هنا؟ ما هي وظيفتك بالضبط؟

الرجل: أنا هنا أنتظر

المرأة: أهذه وظيفة تليق برجل محترم؟

الرجل: نعم، وامرأة محترمة أيضاً !

المرأة: ولماذا لم تفتح الباب حتى هذه اللحظة أيها الحارس المحترم؟

الرجل: قلت لك لست حارساً.... مفاتيح الباب مع الحارس

المرأة: وإذا طرقت بابك العتيق سيدة محترمة فماذا تفعل عندئذٍ؟ هل تتركها تقف خارج المنزل مثل شحاذة؟
 الرجل: كلا... كلا... لقد ترك لي مفتاحاً احتياطياً... فإذا كنتِ مصرة على الدخول عليك بالانتظار حتى أعثر عليها
 المرأة: يبدو أنني وصلت في وقت غير مناسب... سأذهب إلى أحد الفنادق
 الرجل: تمهلي لحظة... أنتِ ضيفتي... إياك أن تفعلي هذا
 المرأة: لا أريد أن أسبب لك حرجاً....
 الرجل: لا يوجد أي حرج... سأبحث عن المفتاح... وستدخليين وسنسهر فلدي بعض الشراب...
 المرأة: ربما يكون المكان ضيقاً
 الرجل: لا... فالمكان على تواضعه يتسع لهذه الفوضى الفارحة القادمة من وراء البحر
 المرأة: هل أنت شاعر؟
 الرجل: لماذا هذا السؤال؟
 المرأة: لأنني أتخيلك عنكبوتاً كبيراً نسج عزلته في هذا المكان المهجور
 الرجل: ماذا قلتِ أيتها السيدة المهدية؟
 المرأة: قلت... أعني الشعراء يحبون العزلة مثل العناكب
 الرجل: مثل ماذا؟
 المرأة: مثل المراكب في البحار المظلمة... مثل نوافذ هذا البيت..... كيف تطيق كل هذا الظلام؟
 الرجل: الظلام شعر
 المرأة: لنتكلم في النور... متى تفتح الباب؟
 الرجل: عندما اعثر على المفتاح
 المرأة: ومتى تعثر على المفتاح؟
 الرجل: بعد لحظات... هل بدأت بالضجر؟
 المرأة: طبعاً... لم أقطع كل تلك المسافة لأنتظر عند الباب كل هذا الوقت

الرجل: قلت لك لحظات وتجدين نفسك في الداخل أمام مائدة عليها الشراب
(للجمهور) هكذا هن دائماً لجوجات... ليس للصبر في نفوسهن موطئ قدم أبداً
المرأة: أظن أن وقوف سيّدة أكثر من ربع ساعة بباب بيت قديم كهذا يعتبر إهانة
كبيرة للجمال

الرجل: عفواً... عفواً... لا طاقة لنا على المساس بالجمال... ولكنها حلقة المفاتيح التي
نسيت الزاوية التي وضعتها فيها الأسبوع الماضي

المرأة: كيف تطيق نفسك كل هذا الوقت من دون أن ترى ضوء الشمس على البحر؟

الرجل: هل وجهت بهذا السؤال إهانة لي؟

المرأة: وأنت ألم توجّه لي إهانة بعدم فتحك الباب؟

الرجل: قلت لك إنني أبحث عن حلقة المفاتيح

المرأة: أنا واثقة من أنك مشغول بإتلاف أوراق ليست رسمية... هذا الأمر لا يهمني
على الإطلاق... إنه أتفه من أن أقطع البحر من أجله

الرجل: أية أوراق؟ لماذا ثارت أعصابك فجأة؟

المرأة: لأنني لا أتخيل رجلاً يترك البحر والنور ويقطن في حجر مغلق فيه باب مغلق

الرجل: تتكلمين عن النور وكأنك ابنة عمه !! ما أدراك ما النور؟

المرأة: من حسن حظ النور عدم معرفتك به وعدم رؤيته لأنك بهذا تخفف عن كاهله
رؤية عنكبوت مثلك !

الرجل: أرى أن الإهانات بدأت تتناسل مثل الفئران

(صوت في الداخل صرخة)

آه... آه.....

المرأة: ماذا حصل؟ هل بدأت بكسر الباب؟

الرجل: إنها مصيدة الفئران التي نصبته

المرأة: يبدو أنها أطبقت على قدم جرد !!

الرجل: ماذا قلت أيتها الفأرة؟

المرأة: (تطرق بشدة) افتح بسرعة

الرجل : هل أنت مصممة على كسر الباب طرقاتاً؟ لماذا أنت قليلة الصبر؟
 المرأة: لا يليق بباب محترم أن لا يفتح لامرأة
 الرجل : جميع الأبواب تفتح من تلقاء ذاتها للنساء المحترمات
 المرأة: هذا إذا كانت المفاتيح بيد رجال محترمين
 الرجل : أراهن أنك صغيرة الحجم... لأن نموك في بطن أمك لم يكتمل
 المرأة: وأراهن أنك بشع مثل عنكبوت ضخمة
 الرجل : (يصفق) ها إنني أعثر على حلقة المفاتيح اللعينة
 المرأة: عثرت عليها أم تعثرت بها؟
 الرجل : يقيناً أنك لم تصدقي (يحرك المفاتيح حتى تعمل جلبية)
 المرأة: شكراً للرب... شكراً للرب... انتظر لحظة قبل أن تفتح الباب فإن شعري
 يحتاج إلى ترتيب
 الرجل : معك وقت لهذا... فحلقة المفاتيح تحتوي على أكثر من مائتي مفتاح
 المرأة: ماذا تعني أيها العنكبوت؟
 الرجل : أعني أن الأمر يحتاج إلى وقت
 المرأة: وهل سأظل طوال الليل أصغي إلى ثرثرتك وقرقعة مفاتيحك الكسلى مثلك إلى
 أن تعثر على مفتاح الباب
 الرجل : أنت حرة في الذهاب فوراً
 المرأة: لم آت من وراء البحار لأنصرف بهذه البساطة
 الرجل : إذن عليك أن تغلقي فمك ريثما أهتدي إلى مفتاح الباب
 المرأة: وإذا لم أمنع فمي عن سبك؟
 الرجل : (يلقي حلقة المفاتيح) إذن لا تحلمي بفتح الباب أبداً
 المرأة: وأنا أمنعك من أن تحلم برؤيتي
 الرجل : وهل أنت جميلة إلى هذا الحد؟
 المرأة: ستندم على كل هذا الوقت الذي أهدرته بخرخشتك للمفاتيح
 الرجل : أنا واثق من صدق ادعائك

المرأة: أي ادعاء؟

الرجل: كونك جميلة

المرأة: هه... وكيف عرفت هذا؟

الرجل: المرأة الجميلة تُعرف من غنج صوتها... وإلحاحها نفاذ صبرها

المرأة: ما دمت تعرف هذا جيداً... لِمَ لا تفتح الباب بسرعة تليق بامرأة قليلة الصبر
ولحوة ولها صوت كله غنج؟

الرجل: يزين الصوت المغناج ألفاظ أقل خشونة

المرأة: هل عدت إلى مناكدتي؟ يبدو أن سحر المرأة خلف الأبواب أقل تأثيراً منه
وراءها !

الرجل: بالطبع... السحر درجات مثلما النساء درجات

المرأة: وحتى لو أسلمنا بهذا القياس فأنت في الدرجة السفلى من درجات الرجولة

الرجل: اللعنة على الأبواب التي تمنع الرجولة من أن تُري نفسها كرجولة حقة

المرأة: الرجولة الحقة تفتح الأبواب بنفس السهولة التي تفتح بها الأصابع أضرار ثوب

الرجل: الأصابع مفاتيح جاهزة على الدوام للأقفال الموصدة

المرأة: أصابع الرجال لا تصمد أمامها أقفال موصدة تقف خلفها امرأة لا تملك صبر
زوجة أيوب

الرجل: صبري على كلامك يفوق صبر أيوب على متانته

المرأة: أيوب نبي وهي ليست كذلك

الرجل: لو كان أكثر تحملاً لكان لها شأن آخر

المرأة: وهل تريد لها أن تصبر أكثر من هذا؟ لقد تحملتُ بلاء أيوب كامرأة

الرجل: كانت تسكن نقطة خارجة من البلاء بينما كان بلاء أيوب في العظم

المرأة: لو كان موقفها ضعيفاً لاستحقت العقاب

الرجل: لقد كان "أيوب" بها رحيماً

المرأة: يبدو أنك لستَ من نسله !

الرجل: وأنتِ لستِ من نسل "بنيلوب"

(المرأة تخرج من حقيبتها مغزلاً وخيوطاً)
 المرأة: لقد انتظرتُ "عوليسي" طويلاً... طويلاً لكنه عندما أطال الغياب قررتُ أن
 أُلقي مغزلي أرضاً وأبحث عنه...
 الرجل: هل كان لا يطيق رؤيتك فهرب منك؟
 المرأة: لا... لكنه لا يريد أن أراه مدمى كجواد خاسر....
 الرجل: كلنا في النتيجة جياذ خاسرة ما دمنا نجري في مضمار الشهوة
 المرأة: أصبحت الخسارة هي السيدة منذ أن ناولني الفاكهة المحرمة
 الرجل: تقصدين عندما أدخله إلى بيتكما السعيد، عندما كنت في ثياب العرس؟
 المرأة: (تستفض) من قال لك هذا؟ ماذا تقصد؟... افتح الباب... افتح
 الباب... افتح.... (تبكي) هل تعرفني؟ ليس غريباً عليّ هذا الصوت... من
 أنت؟.. من أنت؟... افتح الباب
 الرجل: إهدأي قليلاً.. أرجوك... سيهرع كل من في الشارع إليك إذا استمر صراخك
 المرأة: ماذا تريد مني بعد كل تلك السنوات؟
 الرجل: لقد عرفتك من صغير الباخرة التي حملتك إلى الميناء... أنا أشم رائحة الخطيئة
 من بعد آلاف الأميال
 المرأة: خطيئة؟ كلنا محكومون بالخطيئة... لكن هذا الكلام لا يقال وبيننا يقف باب
 بكل جبروته الصلد
 الرجل: سأجرب بقية المفاتيح... انتظري قليلاً
 المرأة: حاول... حاول
 الرجل: هل بدأت تشعرين بالبرد؟
 المرأة: كثيراً... رغم أنني أرتدي الغليظ من الملابس لكن بردي هو برد من نوع آخر
 الرجل: لقد صاحبني هذا النوع من البرد في ليالي وحدتي الطويلة
 المرأة: أنت الذي اخترت هذا المصير
 الرجل: ماذا تقصدين؟
 المرأة: أقصد منذ أن دخل الشاب إلى البيت الهادئ

الرجل : لم أكن أعرف " أن امرأة ستبذل له قلبها "
المرأة : " هي الآن قديسة في السماء "
الرجل : " ذلك هو مصيرنا نحن المحسنين الأبرار "
المرأة : لقد عرفت حينها أنه لو كان أقل وحشية لنجونا... لكن لطفه أيضاً قاتل وأنا
بين يديه ويحيي مجنونة.. مجنونة... افتح الباب
الرجل : هوني عليك... أقسم لك أنني سأنجح في فتحه... مثلما نجح في فتح باب قلبك
المرأة : هه... كنت لم أزل في ثياب العرس عندما دخل حياتنا... فجنّ البيت سعادة
ورأيت خليلي أمراً مقدساً... كانت محبته مسحورة.. تشبثت به... رسمت
دموعي على قميصه.. وأخذت
عليه العهد ألا يهجرني.. كنت أعلل نفسي سوف يهربي القوة... وسنرحل نصطاد
في الصحراء ونترقد على جوانب الطرقات في المدن المجهولة... وأنت ما الذي
دهاك؟

الرجل : (يغني) كانت محبته مسحورة... تشبثت... رسمت... أخذت
المرأة : وماذا حصل في تلك الليلة المشؤومة
الرجل : رحلنا في الصحراء
المرأة : لماذا؟
الرجل : لكي نصطاد وترقد على جوانب الطرقات في المدن المجهولة..
ولكن هل كان يحدثك عن الحب؟
المرأة : لا... لا... كان يحثني عن الموت الذي يجلب الندم وعن الفراق الذي يمزق القلوب
الرجل : عن الفراق.. هه؟
المرأة : ذات يوم بعد عناق أخاذ قال لي : كم سيبدو لك عجيباً بعد أن أفارقك؟
الرجل : ماذا يعني بهذا؟
المرأة : سألته أجاب : لا بد أن أرحل بعيداً يوماً ما لأفرّج عن ذهني ما
تواطأ عليه من غوايات....
الرجل : لاحظت هذا

المرأة: ماذا لاحظت؟
 الرجل: لاحظت بعوضة تحوم نشوى فوق مبولة الحان ويكفي شعاع ليبيدها
 المرأة: لا تصبح فظاً مثله
 الرجل: هل تريدني أن أقول: لاحظت فراشة تحوم نشوى
 المرأة: يكون أفضل
 الرجل: لكنني سأخرج عن النص
 المرأة: أي نص؟
 الرجل: نص الجحيم
 المرأة: ولماذا أطلقت نيرانك على الشعاع
 الرجل: لأنها فراشتي
 المرأة: هه؟ فراشتك؟ إذن لماذا هجرتها؟
 الرجل: كان لابد أن يحدث ما حدث... كان لابد أن يحدث ما حدث
 المرأة: ولكن الجميع خسر
 الرجل: لا عليك بإحصاء الخسائر لأننا ربحتنا تحية الجمال
 المرأة: عن أي ربح تتحدث فأنا لست سوى امرأة ضالة... كان لابد لها أن تقطع البحر
 وتصل إلى هنا لتدق هذا الباب الذي لم يفتح
 الرجل: سيفتح بالتأكيد
 المرأة: ولماذا تريده أن يفتح وأنت تعرف أنني لا أبحث إلا عنه
 الرجل: وأنا أيضاً..
 المرأة: وها نحن نلتقي ثانية
 الرجل: علينا أن نشكر الرب
 المرأة: على ماذا؟
 الرجل: لأنه جعلنا نتكلم بحرية
 المرأة: ولماذا تركنا اللعبة بحرية؟

الرجل : كانت حياتنا ستستمر على تلك الوتيرة الرتيبة لو لم يدخل إلى حياتنا كنا
بحاجة إلى باب
المرأة : كلنا نحتاج إلى أبواب مقفلة... تحجبنا عن بعض لكي نصل إلى الحقيقة
وندخل....
الرجل : وهل وصلناها؟
المرأة : لا... الوصول إلى الحقيقة يتطلب أكثر من باب... الحقيقة "بنيلوب" تنتظر
"عوليسها"
الرجل : "بنيلوب" لم تعد تنتظر
المرأة : عندما أحست بخسارة "عوليس" ركضت تبحث عنه
الرجل : "عوليس" لم يتلکأ بالعودة... "عوليس" كان شاعراً فوقف يلقي التحية على
الجمال فتأخر في طريق العودة
المرأة : لكنها تحية على هيئة رصاصة
الرجل : لا تعذبيني أرجوك... كان لابد أن يحدث ذلك
المرأة : هل كنت غيوراً إلى هذا الحد؟
الرجل : كنت غيوراً إلى درجة الرصاص
المرأة : لكنك منذ دخل بيتنا لم تكن تحبني... وفجأة ألطافه الغامضة أغوتني فنسيت
كل شيء وتبعته
الرجل : لكنه لم يكن يعرف الحب... كان يقول : إن الحب ينبغي أن يبتكر من جديد
فلم يعد بوسع النساء غير الرغبة في مقر أمين فإذا ما حزنه غفلن الهوى والجمال
المرأة : وهل صدّقه؟
الرجل : أنصت إليه وهو يجعل من العار مجداً ومن القسوة سحراً
المرأة : إنه شيطان... ليس هو بشر... كنت أعاركه وكان يثير الرعب في قلبي
الرجل : وعندما لاحظ أنني لاحظت هذا هرب فتبعته
المرأة : لماذا تبعته؟ قل لي لماذا؟ سأكسر الباب إذا لم تقل لي
الرجل : إنه شيطان... ليس هو ببشر

المرأة: هل أطلقت عليه الرصاص بدافع الغيرة؟
الرجل: وهل جئت لمحاكمتي؟
المرأة: أجيني؟
الرجل: نعم...
المرأة: إذن كنت تحبني ها؟
الرجل: دعك من هذا الكلام الآن
المرأة: قلها لمرة واحدة... واحدة فقط... لكي لا أشعر بالخيبة
الرجل: أية خيبة؟
المرأة: خيبة البحث....
الرجل: عن ماذا؟
المرأة: عن... عن... عن "عوليس"
الرجل: هل كنا بحاجة لكل هذا الضباب لنتبين ملامحنا جيداً
المرأة: وأنت... هل رأيته؟
الرجل: لا.....
المرأة: لماذا؟
الرجل: كنت اعرف أنه رحل منذ سنوات
المرأة: أكنت تريد قتله؟
الرجل: كلا....
المرأة: إذن لماذا جئت إلى هنا؟
الرجل: من أجلك.....
المرأة: لأجلي؟
الرجل: نعم، كنت أتوقع وصولك في أية لحظة... كنت أهين نفسي لاستقبالك كلما
سمعت صفير سفينة تصل الميناء

المرأة: أعرف أنني ضالة... ثملة... نجسة... وقد ولدت خاضعة له.. أما الآن ما عرفت
قط مثل هذا الهذيان... وذلك العذاب... أواه... إنني أتعذب وأصرخ... مع أنه لم
يبق ما أخرج منه

الرجل: ولماذا أتيت لطرق بابه؟

المرأة: لقد كانت محبته موعداً بيننا... بحثت عنك في كل مكان... لم أجذك حتى
اهتديت إلى هذا المكان... توقعتك هنا... والآن انتهى كل شيء... جهّز
رصاصتك... لتأخذ محلها في قلبي وحاذر أن تخدش كفف "بنيلوب" لئلا تفشل
في فك النسيج في الليل... صوّب إلى القلب جيداً...

(خرخشة مفاتيح)

(يفتح الباب.... يقفان وجهاً لوجه..... صمت)

(يسدل الستار)

ملاحظة:

منزل باردي هو بيت قديم في كريتر بعدن، كان وكالة لبيع الجبوب، سكنه
الشاعر الفرنسي "رامبو" أثناء إقامته في عدن لعدة أعوام في ١٨٨٢، والمسرحية
تستند إلى مرحلة في حياة "رامبو" وعلاقته بـ"فرلين" الذي هجر زوجته وسافر معه، ثم
أطلق عليه النار فأصابه في كفه فعاد إلى باريس ليكتب "فصل في الجحيم" الذي
ضمنت العديد من أشعاره المعروفة في هذا النص

فهرس المحتويات

المقدمة	٥
كلمة أولى	١١
انفتاح على العالم	١٥
إغراء المجهول	١٧
كارثة ميونخ	١٩
فرجة مسرحية	٢٧
شعر الطبيعة	٣١
مركز ثقافي وعمارة مميّزة	٣٣
أحفاد السندباد	٣٥
لقاء يتجدّد مع عاصمة النور	٣٧
السفن العمانية قرب "أيفل"	٤١
ضجّة في باريس	٤٣
الليلة الكبيرة	٤٥
شعر وموسيقى	٤٧
متاحف ومواقع سياحية	٤٩
قصور ملكيّة	٥٣
نافذة للحركات الثوريّة العالميّة	٥٧
فضاء ثقافي	٦١
صور أخيرة لأيفل"	٦٣
قالوا في القوافل	٦٥
نشاط ثقافي يخدم المجتمع	٦٧

- أصوات شعرية قيّمة ٦٩
- سفيرة الثقافة العمانية ٧١
- شهادات ٧٧
- صخبنا في مدينتي "باردتين" - محمد بن سيف الرحي ٧٧
- أسفار.. ومدن - محمد بن سيف الرحي ٨١
- أصوات شعرية قيمة في فضاء يجمع بين ضفتين - الطيب ولد العروسي ٨٥
- حكايات كامبريدج.. عين لندن.. ملعب مانشستر - يوميات: هدى حمد ٨٧
- قافلة عمانية تنصب خيمتها الشعرية في باريس - باريس - أنعام كجه جي ٩٥
- الكتاب العماني في مدينة النور حجز ركنا في معهد العالم العربي ٩٧
- ١ - رسالة باريس: عاصم الشيدي ٩٧
- ٢ - أحفاد السندباد يحاور الآخر بلغة الإبداع.. ويخط سطرًا من أجل السلام - بروكسل - عاصم الشيدي ١٠١
- ٣ - باريس وبروكسل - عاصم الشيدي ١٠٥
- الملاحق ١١١
- ملحق ١: من أزمة القوافل إلى القطارات والطائرات ١١١
- ملحق ٢: العلاقات العمانيّة الأوروبيّة ١١٩
- ملحق ٣: قراءة في نصوص مهريّة قديمة ١٢٣
- ملحق ٤: نحن والفرنسيون مستهدفون في ثقافتنا ١٤٠
- ملحق ٥: المسرحيّة ضجّة في منزل باردي ١٤٣

عبد الرزاق الربيعي

شاعر وكاتب مسرحي وصحفي عراقي يقيم بسلطنة عمان منذ ١٩٩٨ م
يعمل باحثاً اخصائياً في مركز البحوث والدراسات بمؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان

الإصدارات

- صدرت له الدواوين والكتب التالية:
- الحاقا بالموت السابق / بغداد ١٩٨٧
 - حدادا على ماتبقى / بغداد ١٩٩٢
 - موجز الاخطاء / جنيف ١٩٩٩
 - جنائز معلقة / مسقط ٢٠٠٠
 - شمال مدار السرطان / مدريد ٢٠٠١
 - وطن جميل (للأطفال) / بغداد ١٩٩٦
 - نجمة الليالي (للأطفال) / بغداد ١٩٨٨
 - ديوان الشعر العراقي الجديد (مشارك) ١٩٩٤ عمان
 - غدا تخرج الحرب للنزعة صنعاء ٢٠٠٤
 - الصعاليك يصطادون النجوم (مسرحيات) القاهرة ٢٠٠٤
 - لا يزال الكلام للدوسري - بوح الحوارات القاهرة ٢٠٠٤
 - أمير البيان عبدالله الخليلي (بالاشتراك مع سعيد النعماني) مسقط ٢٠٠٠
 - كواكب المجموعة الشخصية القاهرة ٢٠٠٤
 - خذ الحكمة من سيدوري - منشورات بابل ٢٠٠٦
 - مدن تثن وذكريات تغرق - وقائع إعصار (جونو) - بيروت ٢٠٠٨ م
 - ما وراء النص - كتابات نقدية - دار شمس القاهرة ٢٠٠٩ - ٢٠١٠ - ٢٤
 - خيمة فوق جبل شمس - مؤسسة الدوسري ٢٠١٠ - البحرين
 - أبنية من فيروز الكلمات مؤسسة الدوسري ٢٠١٠
 - قميص مترع بالغيوم مركز الحضارة ٢٠١٠ القاهرة
 - ١٤ ساعة في مطار بغداد - مركز الحضارة ٢٠١٠ القاهرة
 - راهب القصيدة - عبدالعزيز المقالح - مؤسسة الدهس ٢٠١١
 - تحولات الخطاب النصي - الرافد دمشق
 - خذ الحكمة من سيدوري ط ٢ دار شمس القاهرة
 - يوميات الحنين - إصدارات النادي الثقافي ٢٠١٢

- خطى.. وأمكنة - من أدب الرحلات ٢٠١٢ م بيت الغشام مسقط
- على سطحنا طائر غريب - نصوص مسرحية ٢٠١٢ م بيت الغشام مسقط

قدمت له على المسرح:

- مسرحية (اه ايتها العاصفة) اخراج كريم جثير في صنعاء ١٩٩٦
- مسرحية (البهلوان) اخراج: رسول الصغير في هولندا عام ١٩٩٧
- اعيد تقديم (اه ايتها العاصفة) اخراج: كريم جثير في تورنتو عام ١٩٩٧ وشارك من خلالها في المهرجان العالمي الثامن للمسرح الذي اقيم في تورنتو
- مسرحية (سقراط) اخراج محمد شيخ الزبير / ايام الشارقة المسرحية ٢٠٠٣
- اه ايتها العاصفة / اخراج سلطان خسرو مهرجان المسرح الكويتي ٢٠٠٤ واعد تقديمها في الاردن في العام نفسه في مهرجان المسرح الاردني بعمان
- البهلوان اخراج علي حسين صالح / المسرح الوطني ببغداد ٢٠٠٥
- (اه ايتها العاصفة) قدمتها كلية التربية بعبري في ملتقى كليات التربية بالمرستاق ٢٠٠٦ اشرف على العرض الدكتور غالب المطليبي ونالت الجائزة الثانية في الملتقى
- الكأس قدمتها كلية التربية بعبري عام ٢٠٠٧ وشاركت في المهرجان الجامعي الخامس الذي أقامته جامعة السلطان قابوس اخراج وداد البادي
- (أمراء الجحيم) اخراج فاروق صبري قدمها في اوكلاند بنيوزيلندا ٢٠٠٦ وهولندا والدنمارك وأربيل
- لا أحد يطرق بابي - اخراج فاروق صبري ٢٠١٠
- (ذات صباح معتم) اخراج طالب كحيلان تقديم فرقة ظفار المسرحية ٢٠٠٩ م مهرجان المسرح العماني الثالث مسقط
- أعيد عرضها في الجزائر ٢٠١٠
- أعيد عرضها بالعاصمة الأردنية عمان ٢٠١١ في مهرجان المسرح الأردني
- نشرت له مجلة (الحياة المسرحية) التونسية في عددها العاشر الصادر في عام ١٩٩٩ النص الكامل لمسرحيته الشعرية (كاسك ياسقراط)

البريد الالكتروني

Razaq2005@hotmail.com

الصفحة الشخصية على الانترنت

www.razaq.has.it